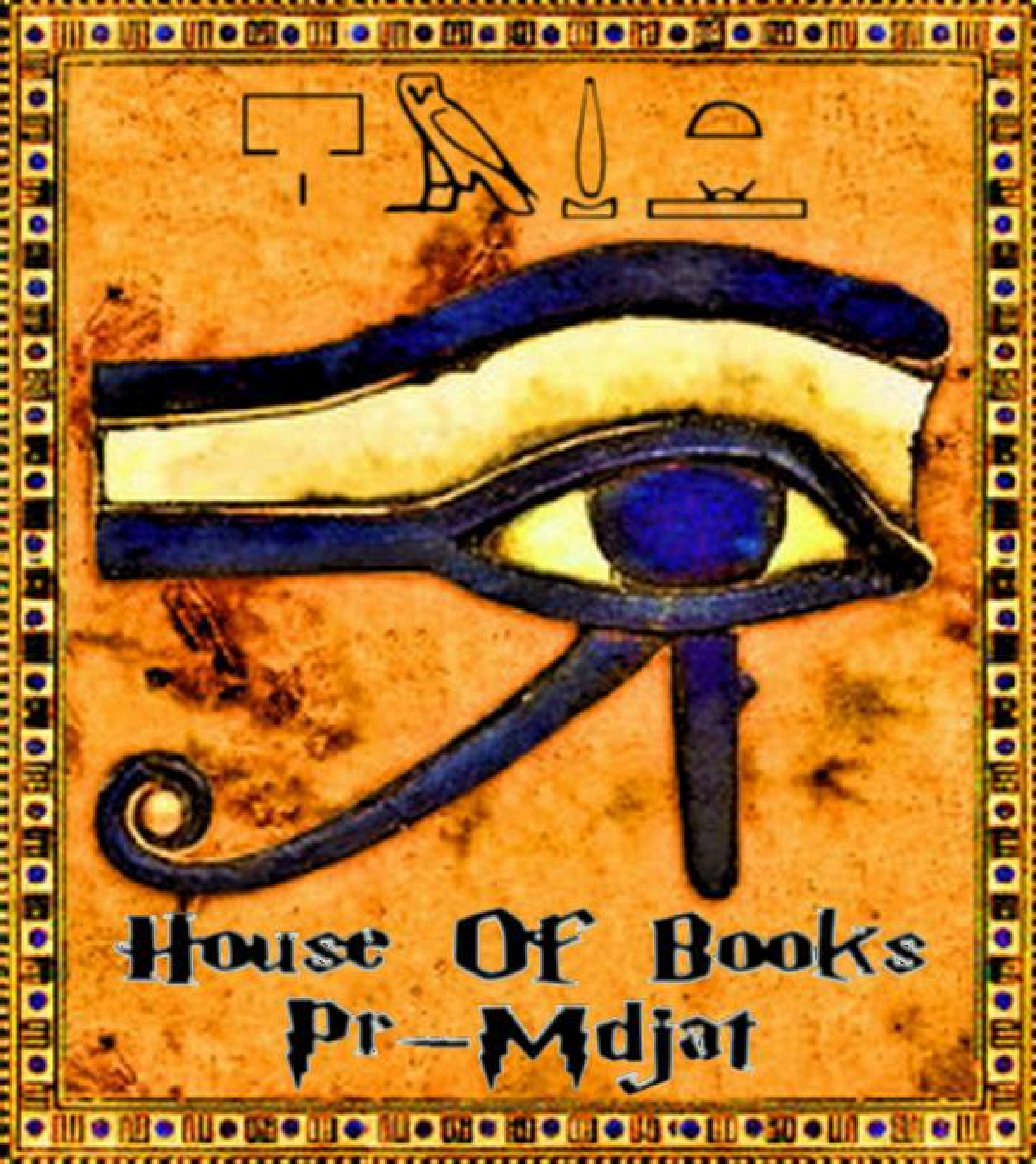
الصراع السياسي والعسكري
بين القوى الإسلامية
زمن الحروب الصليبية

تأليف

دكتور حامد زيان غانم زيان
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م

دار الثقافة للنشر والتوزيع
القاهرة - ت : ٩٠٤٦٩٦


House Of Books
Pr—Mdjat

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شهد الشرق الأدنى منذ أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، حدثا تاريخيا جسيما وهو العدوان الصليبى على البلدان الاسلامية ، واستطاع الصليبيون خلال سنوات قليلة الاستيلاء على عدد من المدن والقرى الاسلامية ، وأسسوا أربع كيانات صليبية هى الرها وانطاكيه وبيت المقدس وطرابلس ، وذلك فى فترة زمنية وجيزة ، الأمر الذى يدعو الى التعجب والدهشة ... غير أن هذه الدهشة لا تلبث أن تزول اذا عرفنا أن منطقة الشرق الأدنى كانت تمر فى تلك الفترة بمرحلة تمزق داخلى ، ساعد كثيرا على تحقيق انتصارات الصليبيين .

وكان هذا التمزق الداخلى نتيجة مجموعة من الصراعات نشبت بين مختلف القوى التى حكمت الدولة الاسلامية ، سواء كانت قوة الخلافة العباسية أم قوة السلاجقة ، أم قوة الدولة الفاطمية ، وكذلك باقى القوى التى ظهرت بعد ذلك مثل الأتابكة والأيوبيين .

واذا كانت الدولة الاسلامية قد شهدت ظهور عدة شخصيات قوية كافحت وجاهدت فى سبيل لم شمل الدولة الاسلامية وتوحيد الكلمة ضد الصليبيين ، ومن خلال تلك الوحدة تم انزال عدة ضربات قوية بهم ، والحاق الهزائم المتتالية بجيوشهم ، وانتزاع ما سلبوه من أراضى وممتلكات اسلامية . فاننا نجد الصراع والتمزق ما يلبث أن يعود من جديد بين قادة وحكام الدولة الاسلامية ليفجر معه فوضى شامله ، ويفرق كلمة المسلمين .

وبطبيعة الحال كان المستفيد الوحيد من وراء ذلك الصراع هم الصليبيون ، الذين عملوا دائما على تغذيته وانسعال ناره ، حتى تتفكك عرى وحدة الدولة الاسلامية ، وينالون ما يريدون •

ويتضح لدارس تاريخ الجهاد ضد الغزو الصليبى ، أن العقبة الكبرى التى كانت تقف أمام القادة المسلمين ليست فى قوة الصليبيين ، بقدر ما كانت تكمن فى ذلك الداء الرابض فى جسد الدولة الاسلامية الا وهو لصراع والتطاحن السياسى والعسكرى بين مختلف القوى الاسلامية •

وفى هذه الدراسة تناولت بالشرح تطور ذلك الصراع منذ أيام السلاجقه وحتى زمن الأيوبيين ، وهى الفترة التى شهدت الحروب الصليبية واشتداد أدوارها ، موضحا نتائج ذلك الصراع الخطيرة على مجرى حوادث التاريخ بالدولة الاسلامية •

وأسأل الله أن أكون قد وفقت فى القاء الضوء على أحد المسالب التى تعرضت لها أمتنا الاسلامية ، وما زالت تتعرض لها ، وكانت سببا رئيسيا فى تمكين الصليبيين من الاستيلاء على أجزاء من ديار الاسلام • داعيا الله جل وعلا أن يلهمنا الرشد والصواب •

« ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين » •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

القاهرة فى ذو القعدة ١٤٠٠
اكتوبر ١٩٨٠

حامد زيان غانم زيان

الفصل الأول

السلاجقه والفوضى السياسية

(أ) الصراع حول السلطنه

(ب) سلاجقه الشام والصراع الداخلى

(ج) صراع السلاجقه مع القبائل العربية

الفصل الأول

السلاجقه والفوضى السياسية

(أ) الصراع حول السلطنة

أصبح السلاجقة[1] هم حماة الخلافة العباسية السنيه وذلك منذ دخولهم بغداد نجدة للخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ – ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ – ١٠٧٥ م) لحمايته من أبى الحارث البساسيرى الذى حاول اسقاط الخلافة العباسية السنية واقامة الدعوة على منابر بغداد للخلافة الفاطمية الشيعية •

ومنذ ذلك الحين توالى على سلطنة السلاجقة ثلاثة من السلاطين الأقوياء هم السلطان طغرليك (٤٢٩ – ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ – ١٠٦٣ م) والسلطان ألب أرسلان (٤٥٥ – ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ – ١٠٧٢ م) والسلطان ملكشاه (٤٦٥ – ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ – ١٠٩٢ م) ، وتمتعت الخلافة العباسية فى ظل هؤلاء السلاطين بقوة كبيرة ، واستطاع السلاجقة السيطرة على كل أجزاء الدولة العباسية بالاضافة الى انزالهم هزائم ساحقة بالبيزنطيين كان اهمها موقعة ملاذكرد – مانزكرت – عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م ، كما استردوا من الفاطميين ما فقدته الدولة العباسية من أملاك ببلاد الشام •

غير انه بوفاة السلطان ملكشاه عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م تفككت دولة السلاجقه ، وكان ذلك بسبب الصراع حول السلطنة • •

فبعد أن آلت السلطنة السلجوقيه بعد وفاة ملكشاه الى ابنه محمود (٤٨٥ – ٤٨٧ هـ / ١٠٩٢ – ١٠٩٤ م) الذى كان طفل صغير تحت

---

(١) نسبة الى سلجوق بن دقاق من التركمان « الغز » الذين سكنوا اقليم بخارى • راجع : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٩ ص ١٧٦ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقه ايران والعراق ص ٥٦ •

وصاية والدته « تركان خاتون » ، ولقبه الخليفة بلقب « ناصر الدنيا والدين » (٢) ، خرج عليه أخوه الأكبر بركياروق وطالب بالسلطنة بوصفه الابن الأكبر ، فاعترف بسلطنته الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله ولقبه « ركن الدين »(٣) • وفى نفس الوقت فان تاج الدولة تتش أخو ملكشاه وصاحب دمشق طمع هو الآخر فى السلطنة (٤) • وطلب من الخليفة الاعتراف بحقه فى السلطنة ، غير أن الخليفة رفض ذلك وذلك لعدم شرعيته فى السلطنة (٥) •

واذا كانت تركان خاتون قد توفيت عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م مما أضعف من شأن ابنها السلطان محمود ، ومهد الطريق لبركياروق للانفراد بالسلطنة (٤٨٧ — ٤٩٨ هـ / ١٠٠٤ — ١١٠٤ م) (٦) ، الا أن عمه تاج الدولة تتش رفض الاعتراف بسلطنته وناصبه العداء ، مطالبا بحقه فى السلطنة (٧) •

وأخذ تاج الدولة تتش يعد العده للدخول فى صراع عسكرى ضد بركيا روق محاولا اقامة جبهة قوية من حكام الشام للاستعانة بهم ضد بركياروق ، فتوجه الى قسيم الدولة آقسنقر(٨) بحلب واتفق

---

(٢) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقة ٩١ ب (مخطوط).

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفا ، ص ٦٧٧ •

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ١٤٤ .

(٥) ابن كثير : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٦) ابن أبى الدم الحموى : المصدر السابق ، ورقة ٩١ ب (مخطوط).

(٧) ويبدو أن السلطان ملكشاة كان يخشى من أخيه تتش وزيادة اطماعه واتساع نفوذه ، لذلك رفض أن يوليه حكم حلب ، واقرها لمسلم بن قريش العقيلى ، غير أن الاحداث سارت على عكس ما يشتهى ملكشاة ، فقد آلت حلب بعد صراع الى تتش ، وبذلك تولى تتش حكم الشام كله وأصبح مرهوب الجانب انظر : ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، Rec. Hist. or, T3, p 703. ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ٤ ، أبو شامه : الروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ج ١ ص ٢٤ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٧٠ .

(٨) انظر بعده الفصل الثالث .

معه على ضرورة مساندته فى صراعه المقبل ضد بركياروق ، كما أرسل الى بوزان صاحب حران والرها ، وكذلك الى ياغى سيان صاحب انطاكية ، وطلب منهم أيضا مساندته ضد بركياروق (٦) • وهكذا اقام تتش حلفا ضد بركياروق ، صاحب السلطة الشرعية فى دولة السلاجقة •

وفى عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م زحف تتش بجيوشه وجيوش حلفائه الى اذربيجان لمنازلة ابن أخيه بركياروق ، والتقى الجمعان ، غير أن المفاجأ التى كانت فى انتظار تتش هى انضمام جيوش حلفائه آق سنقر وبوزان الى جانب جيوش عوه بركيا روق ، مما جعل تتش يسارع بالعودة الى دمشق دون الدخول فى حرب مع بركيا روق(١٠) •

وبعد أن أعاد تتش ترتيب صفوف جيشه ، فرج للانتقام من حلفائه الذين خانوه وتخلوا عنه ، فتوجه الى حلب فى جمادى الآخرة من عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، وعلى الرغم من الامدادات التى تلقاها قسيم الدولة آق سنقر صاحب حلب من بركيا روق وحلفائه بوزان صاحب حران والرها وكربوغا أحد قادة بركيا روق ، الا أنه لم يستطع الصمود أمام جيوش تتش ، وانهزم فى موقعة تل السلطان (١١) ، ووقع أسيرا فى قبضة تتش الذى « قتله صلبا » (١٢) • اما بوزان وكربوغا فقد فرا الى حلب ،

---

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب ، جـ ١ ص ٢٢ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ١٤٤ •

(١٠) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ص ٨٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢٥ — ٢٦ •

(١١) مكان على بعد ستة فراسخ من حلب (انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ص ٨٦٧) •

(١٢) يذكر ابن واصل انه لما وقع قسيم الدولة آق سنقر اسيرا فى يد تتش احضره تتش وقال له : لو ظفرت بى ما كنت تصنع بى ؟ فقال اق سنقر : كنت ارى قتلك . فقال له تتش : فأنا أحكم عليك بما كنت تحكم على • (انظر مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢٦) •

ومن جانب آخر يرى ناصر بن الحسين أن مسؤلية هزيمة آق سنقر تلقى على عاتق بركياروق الذى تخلى عن قسيم الدولة اق سنقر أثناء محاربة تتش له « وانشغل عنه بشربه ، وان اتابكه — أى أتابك بركيا روق — اشتغل عنهم بأم السلطان زيدة خاتون وكان مهتما بها » •

فتبعهما تتش وضرب الحصار على حلب ، ولم تمر مـــدة قصيرة حتى استطاع تتش دخول حلب ، وقبض على بوزان وكربوغا ، أما الأول فقد قتله تتش بعد امتناع أهل حران والرها من الاستسلام له ، فى حين استمر الثانى فى حبس تتش (١٣) •

غير أن تتش لم ينعم بهذا النصر طويلا ، خاصة بعد أن تبددت الصعاب التى أحاطت ببركياروق ، فشفى من مرض الجدرى الـــذى أصابه ، وتوفى أخاه محمود منافسه فى السلطنة ، وانحاز الى جانبـــه امراء أخيه ، هذا كله فضلا عن أن انضمام مؤيد الملك بن نظام الملك الى جانب بركياروق وتوليته مهام الوزارة اعاد الاستقرار الى دولـــــة بركياروق (١٤) •

وما أن شعر بركياروق بقوته حتى مضى على رأس جيوشـــــه يرافقـــه وزيره مؤيد الملك لمحاربة عمه تتش ، الذى انتهى أمره بالهزيمة والقتل فى موقعة الرى عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م (١٥) •

وهكذا امتلأ تاريخ الدولة الاسلامية فى تلك الفترة بصراع مرير خاصة داخل صفوف السلاجقة ، وهى القوة التى أصبحت تشرف علـــى أملاك الدولة العباسية ، والتى أعادت بظهورها القوة بالخلافة العباسية •

= (انظر : اخبار الدولة السلجوقيه ، ص ٧٥ — ٧٦) غير أن هـــذا الرأى قد جانبه الصواب فليس من المقبول أن يتشاغل بركيا روق عن حـــرب منافسه فى السلطنة ، ولكن يبدو أن بركيا روق كان مصابا فى تلك الفترة بمرض الجدرى ، وهذا هو الذى أخره عن المشاركة بنفسه فى قتال تتش • (راجع ابو لفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ص ٢٠٦) •

(١٣) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٤٤ •

(١٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ص ٩٠ ، حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، ص ٤ •

(١٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ص ٩٠ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٢ ص ٢٠٦ ، ناصر بن الحسين : اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٦ •
ويشير ابن خلدون الى أن الذى قتل تاج الدولة تتش هم بعض أصحاب آق سنقر ، انتقاما لصاحبهم (انظر : العبر ، جـ ٥ ص ١٤٧) •

ونتج عن هذا الصراع تدهور ملحوظ فى قوة السلاجقة ، كما تنتج عنه أيضا انقسام دولة السلاجقة الى عدة أقسام هى سلاجقة فارس وسلاجقة العراق ، وسلاجقة كرمان وسلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، وسلاجقة الشام •

وكان من سوء الطالع أن يأتى هذا الانقسام والتمزق فى الوقت الذى كانت فيه البابويه فى عرب أوروبا تدعو الأوروبيين للقيام بحرب صليبية مقدسة ضد المسلمين ببلاد الشام (١٦) ، وقد لبى أهالى الغرب الأوروبى دعوة البابوية وأخذوا فى الاستعداد للقيام بالحملة المنشودة •

ولا شك فى أن حالة التدهور والانقسام التى أصابت السلاجقة فى ذلك الحين أدت الى عدم مقدرتهم فى التصدى لجيوش الحملة الصليبية ، بنفس الدرجة التى تصدوا بها لجيش البيزنطيين عام ١٠٧١ م وانزلوا بها هزيمة ساحقة عند ملازكرد ــ مانزكرت ــ ، وساعد ذلك بطبيعة الحال على حصول الصليبيين على الانتصارات السريعة والاستيلاء على الأراضى الاسلامية ببلاد الشام والجزيرة •

***

واستمر الصراع على السلطنة السلجوقيه قائم بين أبناء البيت السلجوقى بعد بركياروق • ففى زمن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (٥١١ ــ ٥٢٥ هـ / ١١١٧ ــ ١١٣١م) خرج عليه أخوه طغرل ، كما أن حروبا كثيرة وقعت بين محمود وبين عمه سنجر صاحب خراسان عام ٥١٣هـ / ١١١٩م ، تلك الحروب التى انتهت بهزيمة ساحقة للسلطان محمود • كذلك خرج مسعود صاحب الموصل واذربيجان على أخيه السلطان محمود وطالب بأحقيته فى السلطنة (١٧) •

---

(١٦) فى عام ١٠٩٥ م عقد البابا أوربان الثانى مجمعا دينيا فى كليرمونت دعى فيه الغرب الأوروبى للقيام بالحروب الصليبية •
وعن تفاصيل ذلك أنظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٠ ــ ٧٤ ، ١٢٦ ، ١٣٩ •

(١٧) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١١٠ •

كذلك دخلت دولة السلاجقة فى صراع شديد عقب وفاة السلطان محمود عام ٥٢٥هـ / ١١٣١م ، خاصة بعد أن آلت السلطنة الى داود بن السلطان محمود ، ، اذ خرج عليه عمه مسعود وطالب بالسلطنة ، واشترك فى هذا الصراع كافة أمراء السلاجقة الى أن انتهى الأمر بتولية مسعود السلطنة عام ٥٢٧هـ / ١١٣٢م (١٨) .

وقد انشغل سلاطين السلاجقة ـــ بطبيعة الحال ـــ بصراعهم الداخلى حول السلطنة ، عن محاربة الصليبيين الذين كانوا قد وصلوا الى الشام ، وشرعوا فى الاستيلاء على مدنه وبلدانه ، فى حين كان من المفروض أن يتحمل هؤلاء السلاجقة عبء الدفاع عن بلاد الشام ، بصفتهم حماه لأملاك الدولة العباسية (١٩) .



---

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٥٦ وما بعدها ، البندارى : المصدر السابق ص ١٤٥ — ١٥٧ .

(١٩) يبدأ أن الخلفاء العباسين غضبوا من موقف السلاجقه ، ويتضح ذلك مما جاء فى خطبة للخليفة المسترشد عام ٥٢٩هـ / ١١٣٥م ، جاء فيها « فوضنا أمورنا الى آل سلجوق فبغوا علينا (فطال عليهم الامد فقسمت قلوبهم وكثير منهم فاسقون) » .
انظر : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٤ ص ٥٦ .

(ب) سلاجقة الشام والصراع الداخلى

ولما كانت بلاد الشام هى مقصد الصليبيين ووجهتهم ، لذا يجب علينا أن نوضح ما سادها من صراع سياسى وعسكرى خاصه بين حكامها السلاجقة ، وذلك قبيل وأثناء وصول الصليبيين اليها .

وتشير المصادر التاريخية أنه بوفاة تاج الدولة تتش عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م دخلت بلاد الشام فى فوضى شاملة وذلك بسبب التنافس والصراع الذى نشب بين أولاد تتش حول السلطة من جهة ، وبسبب العداء بين هؤلاء الأبناء ــ حكام الشام ــ وقوادهم وامرائهم من جهة أخرى .

وتفصيل ذلك ، انه عند نشوب معركة الرى التى انتهت بمقتل تاج الدولة تتش ، ان كان معه ابنه دقاق فانهزم ، أما ابنه الثانى رضوان فكان متوجها الى العراق [٢٠] ، وقد بلغه نبأ مقتل أبيه وهو بالقرب من هيت ، فعاد مسرعا الى حلب [٢١] ، وكان نائب حلب فى ذلك الحين أبو القاسم الخوارزمى ، الذى رفض تسليم حلب الى رضوان، ومن الجدير بالذكر أن أبا القاسم هذا كان ذو سلطة وقوة ، وأخيرا استطاع رضوان دخول حلب عن طريق الحيله أثناء الليل ، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ، وقام بتدبير امور دولته الأمير جناح الدولة الحسين بن أفتكين زوج والدته [٢٢] . أما دقاق ــ الابن الثانى لتتش ــ

---

(٢٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٢٠ .

(٢١) ابو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٠٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ١٤٧ .

(٢٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١١٩ ــ ١٢٠ ، بيشوف : تحف الأنباء فى تاريخ حلب الشهباء ، ص ٤٨ .

وكان بصحبة رضوان أثناء توجهه الى حلب معظم قادته واخواه الصغيران ابا طالب وبهرام ، ووالدته وزوجها جناح الدولة . (انظر ابو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٠٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ١٤٨) .

فتوجه الى دمشق وملكها ، حيث سلمها اليه نائب ابيه الأمير ساوتكين ، وخطب له على منابرها [٢٣] •

وهكذا اقتسم أولاد تتش بلاد الشام فيما بينهم ، فأخذ رضوان حلب ، أما دمشق فكانت من نصيب دقاق • لكن الصراع والتنافس لم يلبث أن ظهر بينهم منذ اللحظة الأولى ، وتجلى هذا الصراع في البداية عندما أقدم رضوان على التخلص من أخويه الصغيرين أبا طالب وبهرام ، وحتى قبل أن يدخل حلب [٢٤] • وهذا العمل يوضح لنا مدى ما تأصل في نفوس أبناء تتش من صراع وتطاحن ، اذ ظن رضوان انه بقتله اخوته الصغار سيتخلص من منافستهم له في المستقبل ، وبذلك يفسح له المجال في السيطرة على بلاد الشام كلها •

ومن ناحية أخرى ، فانه قد راودت رضوان فكره وهي أنه وحده هو حاكم الشام ، وليس لأحد من اخوته الحق في مشاركته حكم الشام ، وذلك نتيجة ما أوصى به والده تاج الدولة تتش أصحابه قبل دخوله معركة الري ، فقد أوصى امراءه بضرورة طاعة رضوان [٢٥] • ويبدو أن رضوان قد فسر تلك الوصية على أنها مبايعه له بحكم الشام كله أي كل ممتلكات أبيه •

ومن ناحية ثالثة فان رضوان كما يشير ابن القلانسي[٢٦] ، كان « يميل الى دمشق ، محبا لها ومؤثرا العود اليها ، لمعرفته بمحاسنها وترعرعه فيها » وقد دفعه هذا الحنين الى دمشق الى خوض معارك طاحنة ضد أخوه دقاق •

وكان أن بدأ رضوان صراعه بمحاولة الاستيلاء على بلدان الشام الخارجه عن يده ، وذلك قبل أن يستولي عليها أخوه دقاق ، فتوجه بجيشه

---

(٢٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ص ١٤٩ .

(٢٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢١ .

وصحبته الأمير ياغى سيان بن محمد التركمانى صاحب انطاكية الى ديار بكر للاستيلاء عليها (٢٧) ، ثم توجه بعد ذلك الى الرها واستولى عليها ، ثم اتجه الى سروج لكن قد سبقه اليها أحد امراء الأراتقه وهو سكمان ابن رتق ، وبعد ذلك عاد الى حلب (٢٨) .

أما الجولة الثانية من الصراع فكانت موجهة ضد دمشق ، حيث جهز رضوان جيشه واتجه صوب دمشق وبصحبته الأمير ياغى سيان والأمير جناح الدولة ، وكان ذلك عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ ، وفرضوا عليها الحصار مده ، غير أن حصانة ومناعة دمشق اجبرتهم على رفع الحصار والعودة الى حلب دون حرب (٢٩) .

وليت الأمور وقفت عند هذا الحد ، وانتهى الصراع عند ذلك ، وانما أخذ التنافس والتطاحن يتفاقم ويتزايد بين الأخوين ، حيث كانت الجولة الثانية من ذلك الصراع نتيجة الخلاف والشقاق الذى وقع بين الأمير ياغى سيان وسيده رضوان ، الأمر الذى حدا بياغى سيان أن يترك جانب رضوان وينحاز الى جانب غريمه دقاق ، ولم يقتصر الأمر على ذلك وانما أخذ ياغى سيان فى تحريض دقاق على مهاجمة رضوان انتقاما منه و « حسن له قصد أخيه رضوان وأخذ حلب منه » (٣٠) . ونتيجة ما كان يسود بين الأخوين من عداء وكراهية فقد حازت هذه

---

(٢٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٢٦) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٢٧) ابو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٨) بيشوف : تحف الأبناء ، ص ٤٨ .

(٢٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣١ — ١٣٢ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٢ ص ٢٠٩ .

(٣٠) ابو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٠٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ١٨٩ .

الفكرة قبولا لدى دقاق ، الذى أخذ فى الاستعداد لمهاجمة حلب ردا على محاصرة رضوان لدمشق من قبل [٣١] •

وبالفعل توجه دقاق بجيوشه صوب حلب ، فما كان من رضوان الا أن تحالف مع سكمان بن ارتق ، وخرجا سويا لمقابلة جيوش دقاق ، وتقابل الجيشان عند قنسرين ، حيث دارت رحى معركة طاحنة انتهت بهزيمة دقاق ، مما اضطره الى العودة الى دمشق ببقية جيشه ، واكتفى رضوان بالحاق الهزيمة بجيوش اخيه وقفل راجعا الى حلب [٣٢] • ثم توصل الجانبان الى الصلح فى نفس العام (٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) على أن يخطب لرضوان بدمشق وانطاكيه قبل دقاق [٣٣] •

غير أن الصراع ببلاد الشام لم ينته بذلك الصلح المبرم بين رضوان ودقاق — السابق الذكر — ، وانما ظهر صراع آخر ، صراع بين حكام الشام من السلاجقه وقوادهم وامرائهم ، ونحن قد أشرنا سابقا الى حدوث الاختلاف والشقاق بين رضوان وياغى سيان ، وما تبعه من زيادة الفوضى والتفكك ببلاد الشام •

وبالاضافة الى ذلك فقد حدث عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م أن وقع خلافا آخر بين رضوان والأمير جناح الدولة حسين أتابكه[٣٤] ومدبر دولته وزوج والدته ، وخرج جناح الدولة من حلب غاضبا واتجه صوب حمص فى

---

(٣١) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى الشام والعراق ، ص ٦٤ •

(٣٢) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢٠٩ ، بيشوف : تحف الأنباء ص ٤٨ •

(٣٣) ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ١٤٩ •

(٣٤) الاتابك لقب يتألف من لفظين تركيين هما « أطا » بمعنى اب و « بك » بمعنى أمير ، واطلق هذا اللفظ زمن السلاجقة على أحد الامراء الكبار الذى كان يتولى الوصاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير •
انظر : القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ١٨ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ص ١٤٦ حاشية رقم ١ •

عسكره وخواصه حيث سلمها اليه نائبها قراجا ، وقد اتخذ جنـــــاح الدولة من حمص مقرا له ولأهله بعد تحصينها وترميم قلعتها وحشدها بالرجال والسلاح خشية مهاجمة رضوان له (٣٥) •

وهكذا أخذ الصراع ببلاد الشام يمتد ليشمل الحكام والأمراء والقادة ، مما ادى الى زيادة التفكك والانقسام وذلك فى الوقت الـــذى تحركت فيه جيوش الحملة الصليبية الأولى من الغرب ، متجهة الـــى بلاد الشام ، ووصلت فعلا فى ذلك الحين مقدماتها الى آسيا الصغرى • وكان من الأولى على حكام الشام من السلاجقه بدلا من دخولهم فى صراع مع بعضهم البعض ، وتصفية أنفسهم بأنفسهم ، وتفتيت قواهم وتمزيق شملهم ••• أن يقفوا يدا واحدة تجاه ذلك الغزو الصليبى •

* * *

ولم يقف الصراع ببلاد الشام عند هذا الحد ، وانما دفع الحقــد والتنافس بعض حكام الشام الى الارتماء فى أحضان الصليبيين بعــد وصولهم الى بلاد الشام !! والاعتماد على أية قوة فى سبيل تحقيق اطمــاعهم !!

وتفصيل ذلك ، ان رضوان أخذ يبحث لنفسه عن قوة يستعـــين بها فى صراعه ضد أخيه دقاق وبقية أمراء الشام • وأخيرا وجد هـــذه القوة فى شخص الدولة الفاطمية الشيعية ، التى كانت تسعى لفرض نفوذها على أملاك العباسين ببلاد الشام ، وبالفعل تم الاتفاق بين الجانبين على أن يسقط رضوان خطبة العباسيين من على منابر الشام ويقيمها للخليفة الفاطمى المستعلى ، فى مقابل أن يمــده الفاطميون بالمــال والعساكر (٣٦) • لكن يبدو أن هذا الاجراء أغضب حلفاء رضوان الذين كانوا يريدون المحافظة على الخلافة العباسية السنية ، ومن بينهم سكمان

---

(٣٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٣ •.

(٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٢٧ ، ابن ميسر : تاريخ مصر Rec. Des. Hist . or . T3, p 461 - 462 . ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٥٤ •

ابن ارتق ، لذلك لم يجد رضوان بدا من قطع خطبة المستعلى الفاطمي واعادتها للعباسيين (٣٧) .

واعاد رضوان البحث عن قوة أخرى يستعين بها ، وفى هذه المرة وجد ضالته فى قوة الباطنية (٣٨) ، وبالفعل انحاز رضوان الى جانبهم « واظهر مذهبهم فى حلب ، وصار لهم الجاه العظيم والقدرة الزائدة وصارت لهم دار الدعوة بحلب فى ايامه » (٣٩) .

ونتيجة انحراف الباطنية ، وقف اهالى الشام منهم موقف المعاداه ، وتحدث كثير من امراء الشام مع الملك رضوان فى التخلى عنهم ، لكنه « لم يلتفت ولم يرجع عنهم (٤٠) ، مما أساء كثيرا الى سمعة رضوان ، واطلق العوام السنتهم « بالسب له وتعيبيه » (٤١) ، كما أدى ذلك الى زيادة الفوضى والاضطراب ببلاد الشام .

وهكذا أدى ذلك الصراع والتنافس بين أبناء البيت السلجوقى ببلاد الشام ، الى التخبط والانحراف ، فتارة يقتتلون بعضهم بعضا ، وتارة أخرى يستعينون بقوى خارجية لتحقيق أطماعهم ، بصرف النظر عن طبيعة هذه القوى .

وازداد تخبط هؤلاء الحكام فاستعانوا بالصليبيين وتحالفوا معهم ضد كل من تحدثه نفسه باعادة توحيد الجبهة الاسلامية ، كما سيأتى ذكـره .

***

---

(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨ ؛ ابن ميسر : تاريخ مصر .

(٣٨) عن الباطنية أنظر بعده .

(٣٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى محاسن ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٥ ص ٢٠٥ .

(٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٤١) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٤٦ .

(ج) صراع السلاجقة مع القبائل العربية

لم تكن القبائل العربية بالشام والعراق والجزيرة ، بعيدة عن ذلك الصراع ، وانما اشتركت فيه اشتراكا مباشرا .

والمتتبع لسير الحوادث التاريخية يجد أن القبائل العربية التى أقامت لها دويلات مستقلة فى حلب (الدولة المرداسية وكونها بنوكلاب) ، وفى الموصل (الدولة العقيلية وامتدت أيضا الى حلب وكونها العقيليون) قد ناصبت هذه الدول السلاجقة العداء ، وتعاونوا من أجل مجابهة السلاجقة وقد اتضح ذلك عندما وقفت القبائل العربية الى جانب مسلم بن قريش العقيلى فى صراعه ضد السلاجقة [٤٢] . غير أن السلاجقة استطاعوا السيطرة على القبائل العربية ، ومن ثم دخلت هذه القبائل تحت سيادة وسلطان السلاجقة [٤٣] ، بعد صراع دام فترة طويلة . ولا داعى للخوض فى تفاصيل ذلك الصراع ، وانما نكتفى بالاشارة الى أنه كان لهذا الصراع عدة نتائج أهمها : زوال سلطان القبائل العربية المستقلة ودخولها تحت سيادة السلاجقة ، وكذلك وهو الأهم اثارة روح الحقد والكراهية بين هذه القبائل والسلاجقة .

وهذه النتيجة الأخيرة هى التى تفسر لنا موقف القبائل العربية من الحروب الصليبية ، فيشير كثير من الكتاب الى أن القبائل العربية الموجودة بالشام والجزيرة نقمت على السلاجقة سيطرتها على البلاد ، وأخذت تتحين الفرص للانتقام منها ، وقد وجدت هذه القبائل فرصتها فى مجىء الصليبيين الى بلاد الشام ، لذلك اتبعوا معهم سياسة

---

(٤٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٧٠ ، محمد كرد على : خطط الشام ج ١ ص ١٦٢ .

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٠٧ ، ١١١ — ١١٢ ، فاروق عمر : الخلافة العباسية فى عصورها المتأخرة ، ص ١٠٠ — ١٠٣ .

المسالمة والمهادنة ومدوا لهم يد المعونة فى فترات كثيرة[٤٤] • ومن أمثلة ذلك ما قام بين بنو منقذ والصليبيين من تعاون ، وقد أورد أسامة بن منقذ تفاصيل كثيرة عن ذلك التعاون [٤٥] •

ولا شك فى أن الصليبيين كانوا هم المستفيدين الوحيدين من وراء هذا الصراع • واذا كان الصليبيون قد قبلوا فى فترة من الفترات مسالمة ومهادنة القبائل العربية ، فانما كان ذلك الى حين تثبت أقدامهم ببلاد الشام وتوطدت دولهم ، ثم بعد ذلك قاموا بالاعتداء على أراضى وممتلكات القبائل العربية نفسها • وقد دفع هذا الأمر القبائل العربية الى تغيير موقفها من الصليبيين وانحازت الى جانب السلاجقة ، أثناء محاربتهم للصليبيين [٤٦] • ومن أمثلة ذلك ما فعله مبارك بن شبل أمير بنى كلاب من تحالفه مع الملك رضوان عام ٤٩٣هـ (١٠٩٩م) ، وما فعله وثاب بن محمود من تحالفه مع الملك دقاق أثناء اغارته على أهل تل منس [٤٧] •

---

(٤٤) انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٢٢٠ ،
Setton : Allhistory of the crusades, volt, p. 140.

(٤٥) راجع كتاب الاعتبار ، ص ٦٥ وما بعدها •

(٤٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٤٣ •

(٤٧) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٣ •

ومن الجدير بالذكر ان القبائل العربية قد مارست بعد ذلك — زمن الاتابكة — سياسة الاعتداء على قوافل الحجاج ، مما دفع السلطان نور الدين محمود الى ان يقطعهم الاقطاعات .

راجع : النويرى : نهاية الارب فى فنون الأدب ، جـ ٢٥ ورقه ٦٠ (مخطوط) •

الفصـــل الثـــانى

دور العباسيين فى الصراع

(أ) العباسيون والصراع مع السلاجقة

(ب) تنافس العباسيين مع الفاطميين

الفصـــل الثـــانى

دور العباسيين فى الصراع

(أ) العباسيون والصراع مع السلاجقة

استمرت الخلافة العباسية قائمة على الرغم من محاولات اسقاطها ، وكانت أهم محاولة هى التى قام بها ابو الحارث البساسيرى وهو أحـــد القادة البويهيين ، وكانت محاولته تهدف الى احلال الخلافة الفاطمية محل الخلافة العباسية[1] ، غير أن هذه المحاولة فشلت بفضل مساعدة السلطان طغرلبك للعباسيين ، وذلك بعد أن دخل طغرلبك بغداد وانزل الهزيمة بالبساسيرى وقتله ، واعاد الخطبة للعباسيين .

ولكن اذا كان السلاجقة قد مدوا ايديهم لانقاذ الخلافة العباسية ، الا أن ذلك تبعه بسط سيطرتهم على بغداد وسائر ممتلكات العباسيين ، ويبدو ان الخلفاء العباسيين قد قبلوا ذلك للتخلص من سيطرة البويهيين الشيعه[2] . ولكن بعد مرور بعض الوقت بدأ صراع خفى يدب بين الخلفاء العباســـيين من جهة وســـلاطين الســـلاجقة من جهة أخرى ، ومما يلاحظ أن العباسيين فى البداية خشوا اظهار ضيقهم وتذمرهم بتدخل السلاجقة وسيطرتهم على مختلف شئون الدولة وذلك خوفـــاً من بطش السلاجقة .

وتشير المصادر التاريخية الى أن السلطان السلجوقى طغرلبك أجبر الخليفة العباسى القائم بأمر الله على أن يزوجه ابنتـــه عـــام

---

(١) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٦ أ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٦٤ — ٦٦٥ .

(٢) فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٨٥ .

٤٥٤ هـ / ١٠٦٢[٣] • ويروى ابن ابى الدم الحموى[٤] أن طغرلبك تزوج « السيدة بنت القائم بعد الامتناع الشديد من القائم وانما أجاب خوفا وغلبه » ، ومعنى ذلك أن خوف الخليفة القائم وازدياد سطوة السلاجقه هو الذى ارغم الخليفة على الموافقة على هذا الزواج ، وقد تعجب المؤرخ السيوطى من حدوث هذه الزيجه وقال عنها « انه امر لم ينله أحد من الملوك السابقين على السلاجقه »[٥] •

ثم تطور هذا الصراع ليأخذ شكلا ظاهراً ، ويتضح ذلك من موقف السلطان ملكشاه من الخليفة المقتدى بأمر الله (٤٦٧ — ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ — ١٠٩٤ م) عندما فكر السلطان ملكشاه فى اتخاذ بغداد مقراً له عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م وأصر على طرد الخليفة المقتدى من بغداد وارسل اليه يقول « لابد ان تترك لى بغداد ، وتذهب الى أى بلد شئت ، فانزعج الخليفة وقال : امهلنى ولو شهراً ، قال : ولا ساعة واحده ، فارسل الخليفة الى وزير السلطان يطلب المهلة الى عشرة أيام » ، ولم ينقذ الخليفة من الطرد من بغداد سوى مرض ملكشاه ووفاته بعد قليل (عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م)[٦] •

* * *

وقد انغمس الخلفاء العباسيين فى الصراع الدائر بين امراء السلاجقه ، مما اضعف من الخلافة نفسها من جهة ، وأدى الى زيادة الفوضى والتفكك من جهة أخرى •

---

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٦٦٧ •

(٤) التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٧ أ •

(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٦٧ •

(٦) ولم يملك الخليفة المقتدى آنذاك سوى الدعاء على ملكشاه ، فيذكر السيوطى ان الخليفة كان فى تلك الايام يصوم واذا افطر جلس ودعا على ملكشاه ، فلما مات ملكشاه « عد ذلك كرامه للخليفة » . انظر : تاريخ الخلفاء ص ٦٧٦ •

وقد سبق أن ذكرنا انه حدث بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م وتولية ابنه محمود أمر السلطنة ، أن خرج عليه أخوته طغرل صاحب ساوه ومسعود صاحب الموصل واذربيجان فضلا عن عمه سنجر صاحب خراسان[٧] ، ولم يستطع السلطان محمود الصمود فى وجه هؤلاء الطامعين ، خاصة جيوش عمه سنجر ، فانهزمت جيوشه ، وقطعت له الخطبة عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ، فبينما اقيمت للسلطان مسعود على منابر بغداد . وفى تلك الفترة أخذت تزداد قوة الخليفة المسترشد بالله[٨] (٥١٢ — ٥٢٩ هـ / ١١١٨ — ١١٣٥ م) خاصة بعد انتصاره على دبيس بن صدقه ، وهنا خشى السلطان محمود من ازدياد قـوة المسترشد فرأى ان يدخل بغداد ليضع حداً لتطلعات الخليفة المسترشد ، وعندما علم الخليفة بذلك أرسل الى السلطان محمود يطلب منه تأجيل الحضور الى بغداد حتى تهدأ الأحوال بها ، غير أن السلطان محمود أصر على موقفه وعزم على دخول بغداد عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، مما دفع الخليفة الى اعلان الحرب على السلطان محمود ، ومنعه من دخول بغداد بالقوة . ويبدو أن الانتصارات السابقة التى حققها الخليفة على دبيس بن صدقه هى التى شجعت الخليفة على اتخاذ هذا الموقف من السلطان محمود . وبالفعل نشب القتال بين جند الخليفة وجيوش السـلطان محمود ، الا أن الدائرة دارت على جند الخليفة ، ونهبت دار الخلافه ، وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الجانبين ، وحلف السلطان محمود للخليفة المسترشـد بالله[٩] .

---

(٧) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١١٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

(٨) أشادت مختلف المصادر بالخليفة المسترشد ووصفته بأنه كان عالى الهمة ذو شهامة زائدة ، رتب أمور الخلافة ، وتلقى قسطاً من علوم الحديث ، كما كان محارباً باشر الحروب بنفسه .

انظر : السيوطى : الخلفاء ص ٦٨٣ .

(٩) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٤ ب . ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٤٢ — ٢٤٥ .

وفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م زج الخليفة المسترشد بنفسه مره ثانية فى صراع مع السلاجقة ولكن هذه المرة كان مع السلطان مسعود (٥٢٧ — ٥٤٧ هـ / ١١٣٢ — ١١٥٢ م) ، وقد تشجع المسترشد وقطع الخطبة له وسار الى همذان لمحاربته ، غير أن الخليفة لم يلبث أن انهزم بدون قتال ووقع جميع رجاله واسلحته فى يد السلطان مسعود ، كما أن الخليفة نفسه وقع اسيراً فى يد مسعود ، وانتقل الخليفة وهو اسير الى مراغه فى صحبة السلطان مسعود ، وبينما المسترشد أسير اذ دخل عليه جماعة من الباطنيه فقتلوه !! وكثرت الأقوال فى سبب قتل الخليفة ، فمنهم من يقول ان السلطان مسعود هو الذى أرسل هؤلاء الباطنيه لقتل الخليفة والتخلص منه ، بينما تشير أقوال أخرى الى أن السلطان مسعود لم يعلم بمقتل الخليفة الا بعد حدوث الجريمة(١٠) ، وقد اظهر السلطان من الأسى والجزع على قتل الخليفة ، ويشير ابن ابى الدم الحموى الى أن السلطان « لما علم بذلك ركب حافياً وقتل الباطنيه جميعاً وحرق جثثهم »(١١) . وتذكر المصادر ايضاً انه كان قد تم الاتفاق والصلح بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد قبل مقتل الخليفة مباشرة ، وعقد الصلح على أن يدفع الخليفة قدر من المال للسلطان ، وأن يعود الخليفة الى بغداد ، ويشير ابن الجوزى الى أن السلطان سنجر عم السلطان مسعود هو الذى توسط بينهما فى الصلح وارسل الى ابن أخيه يطلب منه عدم الاعتداء على الخليفة وان يقبل الأرض بين يديه ، ويعيده الى مقره ببغداد(١٢) .

ومهما كان الأمر فان الخليفة المسترشد زج بنفسه فى الصراع الدائر بين امراء السلاجقه دون أن يدرى ان هذا الصراع سيؤدى به

---

(١٠) ابن ابى الدم الحموى : المصدر السابق ، ورقه ٩١ أ ، السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٨٨ — ٦٨٩ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٦١ — ١٦٢ .

(١١) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩١ أ .

(١٢) السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٨٨ — ٦٨٩ .

الى هذه النهاية المؤسفة • ولم تقتصر الخسارة على فقدان الخليفة وقتله فقط ، وانما تعدتها الى تفتت وانقسام الدولة الاسلامية كلهـا والتى يمثل وحدتها الخليفة العباسى •

وبوفاة الخليفـة المسترشـد تولى الخلافه بعـده ابنه الراشـد (٥٢٩ ـــ ٥٣٠ ﻫ / ١١٣٥ ـــ ١١٣٦ م) الذى نقم على السلاجقة قاتلهم لأبيه خاصة السلطان مسعود ، وقد اظهر الراشد من الكره والبغض للسلطان مسعود ما جعله ـــ أى مسعود ـــ يسير الى بغداد ويضرب عليها الحصار ، فاضطر الخليفة ان يخرج من بغداد هارباً الى الموصل ، أما السلطان مسعود فقد اجتمع معه الوزير ابو القاسم على بن الزينبى واحضر القضاه والفقهاء وكتبوا محضراً يفيد أن الخليفة الراشد اتى من الظلم وسفك الدماء وغير ذلك مما يستوجب « خلعه والاستبدال بغيره من أهل بيته » ، وبالفعل بحثوا عن أحد ابناء البيت العباسى ليحل محل الراشد فوقع اختيارهم على عبد الله محمد عم الراشد الذى تلقب بالمقتفى • اما الراشد فانه توجه من الموصل الى مراغه ومنها سـار الى الرى ثم الى خراسان ، وهناك قتل جماعة كبيره من الباطنيه انتقاماً لوالده ، ثم توجه الى همذان ودخل فى حرب مع السلطان مسعود كان النصر فيها حليف الراشد ، ومن همذان توجه الى اصفهان ، حيث قتـل بيد جماعة من الباطنيه(١٣) •

وهكذا وللمرة الثانية يقتل الخليفة العباسى نتيجة الصراع الدائر بين الخلافة العباسية والسلاجقه ، وليزداد الموقف تدهوراً وضعفـاً فى انحاء الدولة الاسلامية •

---

(١٣) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٧ ، (مخطوط) ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١١ ـــ ٢٨ •

يشير السيوطى الى ان الراشد عند وصوله الى اصفهان مرض مرضاً شديداً فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فراشين معه فقتلوه بالسكاكين • (الخلفاء ص ٦٩٥) •

اما الخليفة المقتفى لامر الله (٥٣٠ ـ ٥٥٥ هـ / ١١٣٦ ـ ١١٦٠ م) فانه لم يتخل عن فكرة الصراع مع السلاجقه ، ولكنه استخدم أسلوباً آخر ، وهو تكوين جيش قوى ببغداد يكون تابعاً للخلافة ، ونجح المقتفى فى ذلك وبمساعدة السلطان مسعود نفسه .

غير أن دور المقتفى لم يظهر فى حياة مسعود وانما ظهر بعد وفاته عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، وخاصة وأن السلطنة السلجوقية دخلت بعد ذلك فى مرحلة الضعف والتدهور والانحلال الداخلى(١٤) .

* * *

وفى زمن السلاجقه ايضاً اشترك الخلفاء العباسيين فى صراع مع بعض القوى الأخرى ، مثل قوة دبيس بن صدقه ، مما أدى الى زيادة الاضطراب والفوضى بالدولة العباسية . فقد حدث عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أن تجهز الخليفة المسترشد بالله وخرج لمحاربة دبيس بن صدقه ، وكثر القتل بين الجانبين ، لكن الغلبه كانت لجيش الخليفة ، مما دفع دبيس الى الاستعانة بطغرلبك بن محمد أخو السلطان محمود ، وكان بين طغرلبك وبين الخليفة عداء دفين بسبب السلطنة السلجوقية ، لذا رحب طغرلبك بدعوة دبيس ، واشتركا سوياً فى محاربة الخليفة .

واذا كان الخليفة المسترشد قد انتصر فى تلك الحرب ، الا ان ذلك أدى الى زيادة انقسام الدولة الاسلامية وتفككها فى وقت عصيب ، وكان من الممكن للخليفة المسترشد ان يلم شمل القوى الاسلامية المتنافرة بدلاً من بعثرتها واراقة دماء بعضها البعض ، ومما يؤخذ على الخليفة المسترشد ايضاً انه لم يقبل العفو عن دبيس بن صدقه عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، عندما طلب منه دبيس ذلك ، وانصاع خلف رأى وزيره فى عدم العفو عن دبيس ، على الرغم من ان الخليفة وكما ذكرت بعض

---

(١٤) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ص ٦٠ ، ٦٥ .
ويشير المؤرخون الى انه فى أيام المقتفى عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء . انظر : السيوطى : الخلفاء ، ص ٧٠١ .

المصادر تعاطف فى البداية مع دبيس وكاد أن يعفو عنه لولا تدخل الوزير الذى حث الخليفة على عدم العفو عن دبيس[١٥] وبطبيعة الحال أدى هذا الموقف الى نفور دبيس بن صدقه وزيادة الصراع والتطاحن بينه وبين الخليفة ، ثم الى تحالف دبيس بعد ذلك مع الصليبين كما سيأتى شرحه .

* * *

(١٥) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ١٩٤ أ .

(ب) تنافس العباسيين مع الفاطميين

كان لقيام الدولة الفاطمية الشيعية أولا بالمغرب عام ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م [١٦] ، ثم امتدادها بعد ذلك الى مصر ، ومحاولاتها المتكررة لبسط نفوذها فى بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية وذلك على حساب ممتلكات العباسيين [١٧] ، اثره فى اشتداد المنافسة والصراع بين الفاطميين والعباسيين • وقد اتخذ هذا الصراع أشكالا عديده ، منه الحربى ومنه السياسى •

ففى المجال الحربى نذكر تلك المعارك الطاحنه التى صاحبت بسط النفوذ الفاطمى ببلاد الشام والجزيرة العربية ، خاصة بلاد الحجاز ، وما تبع ذلك من ازدياد مكانة الفاطميين [١٨] • كذلك ما حدث اثناء بسط النفوذ الفاطمى باليمن [١٩] •

ويبدو ان العباسيين فشلوا فى ايقاف التوسع الفاطمى ، لذلك حاولوا اتباع بعض الأساليب السياسية لمناهضة المذهب الشيعى للحد من انتشاره ، وكان أهم هذه المحاولات ، محاولة هدم فكرة الدعوة الفاطمية نفسها التى تقوم على الدعوة لامام من آل البيت من نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) وزوج على بن ابى طالب ومن اسمها اتخذوا لقبهم [٢٠] •

---

(١٦) انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ص ٥٣١ — ٥٩٩ .

(١٧) انظر : محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، النفوذ الفاطمى فى الشام والعراق .

(١٨) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، ص ١٤ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٣٧ — ٢٣٩ .

(١٩) ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٢١٥ .

(٢٠) انظر : سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، جـ ٢ ص ٥٣٦ — ٥٣٧ .

لذلك أصدر العباسيون عدة فتاوى عبارة عن محاضر فقهاء وقضاء تفيد أن هؤلاء الفاطميين لا يتصلون بصلة نسب الى آل البيت ، ولا الى فاطمة الزهراء[٢١] ، وتكررت هذه المحاضر ، ويبدو أن هذه الفتاوى لم تـأت بالنتيجـة المرجوه ، ولـم تتوقف الـدعوة الفاطميـة ، ولا انتشارها[٢٢] .

ومن ناحية أخرى رأت الخلافة العباسية محاربة المذهب الشيعى ـ الفاطميون ـ عن طريق انشاء المدارس وتعميق دراسة المذهب السنى ، وكذلك للرد على دعاوى الاسماعيلية الدينية والسياسية[٢٣] ، وتحدثنا المصادر التاريخية عن مجموعة ضـخمة من المدارس أنشـأت فى تلك الفترة ، من أهمها المدرسة النظامية وغيرها[٢٤] .

ومن ناحية ثالثة ، فقد شجعت الخلافة العباسية العلماء والفقهـاء على الكتابة عن المذاهب والرد على دعاة المذهب الاسماعيلى ، ومن أمثلة ذلك ما كتبه العـالم الفقيه ابو حامـد الغـزالى (ت ٥٠٥ هـ) عن « فضائح الباطنيه »[٢٥] .

---

(٢١) من الملاحظ ان هناك فريق من المؤرخين طعن فى نسب الفاطميين الى آل البيت ، واطلقوا عليهم اسـم العبيـدين أو المصريين ولم ينعتـوهم بالفاطميين . وقد نادى البعض ان اصلهم من المجوس .

وعن الاراء التى قيلت فى صحة نسب الفاطميين انظر :

المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٣ ـ ٣٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤ ، ابو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٧٥ ـ ٨٠ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٩ ـ ٦٤ .

(٢٢) ابو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، ابن ميسر : اخبار مصر ص ٣٧ .

(٢٣) محمد كرد على : خطط الشام ج ٤ ص ٣٨ ، حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٢١٧ .

(٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، وعن هذه المدارس انظر النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ج ١ ص ٦٠٧ .

(٢٥) راجع ما كتبه الغزالى فى الرد على الباطنيه فى كتابه : فضائح الباطنية ص ٩٠ ـ ١٣١ ، ١٦٩ ـ ١٩٤ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام =

ويبدو ان هذه الاجراءات التى اتبعها العباسيون لم تفلح فى وقف تيار المذهب الاسماعيلى ، ولا نبالغ اذا قلنا انه ازداد قوه ، لدرجة انه أخذ طريقه الى العراق ذاتها .

وانتهز الخلفاء الفاطميون تشيع البويهيين[٢٦] ، وحاولوا نشر الدعوة الاسماعيلية بالعراق ، واقامة الخطبة للخليفة الفاطمى بشيراز خاصة زمن ابو كاليجار (٤٣٥ — ٤٤٠ هـ / ١٠٤٥ — ١٠٤٨ م) وقد بذل داعى دعاة الفاطميين فى فارس فى تلك الفترة وهو المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، جهوداً كبيرة فى هذا السبيل .

ويبدو أن المؤيد نجح فى نشر الدعوة الاسماعيلية بالعراق نجاحاً كبيرا ، لدرجة أن الخليفة العباسى القائم (٤٣٢ — ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ — ١٠٧٥ م) خشى على الدولة العباسية من خطر المؤيد ، وارسل الى ابى كاليجار يطلب منه ضرورة تسليم داعى الفاطميين اليه ، لكن أبو كاليجار لم يعر الخليفة أى اهتمام واستمر المؤيد ينشر دعوته ، ومن طريف ما يذكر ان ابا كاليجار نفسه كان يحضر مجالس المؤيد[٢٧] .

غير أن أشد مراحل الصراع بين العباسيين والفاطميين هو ما ارتبط باسم أبى الحارث البساسيرى .

أما ابو الحارث البساسيرى هذا فكان أحد القادة الترك الذى قوى شأنه وتحكم فى كافة الأمور ببغداد ، بينما لم يكن للخليفة أو الملك

= السياسى ، جـ ٤ ص ٢٧١ ، وعن الغزالى راجع : ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٣ أ .

(٢٦) حكم البويهيون فى بغدادمن ٣٣٤—٤٤٧هـ / ٩٤٦—١٠٥٥م ، والمعروف أن البويهيين كانوا شيعة على مذهب الزيديه .

(٢٧) أشار المؤيد فى الدين فى سيرته أن أبا كاليجار اعتنق الدعوه الفاطمية ، انظر السيرة المؤيديه ، ص ٤٣ — ٤٤ .

وانظر ايضا : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ١٢ — ١٣ .

البويهى (الملك الرحيم) سلطان ولا نفوذ(٢٨) ، وكما يذكر السيوطى انه دعى على المنابر باسمه ، وكان الخليفة القائم بامر الله العباسى لا يقطع امراً دونه(٢٩) .

ولم يلبث البساسيرى أن اخذ يفكر فى اسقاط الخلافة العباسية والقبض على الخليفة القائم بامر الله ، وبالفعل فى عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م دخل البساسيرى بغداد لتحقيق ذلك ، فلما علم بذلك الخليفة ارسل الى « محمد بن ميكائيل سلطان الغز (٣٠) المعروف بطغرلبك يستنهضه فى القدوم » لينجده من خطر البساسيرى(٣١) . ولبى طغرلبك دعوة الخليفة على الفور واتجه بجيوشه صوب بغداد ، فدخلها واحرق دار البساسيرى ، الذى لم يستطع الصمود فى وجه جيوش السلاجقه ، فخرج من بغداد واتجه الى الرحبه ، ومن الرحبه راسل ابراهيم أخو طغرلبك واطعمه فى السلطنة السلجوقية ، وذلك حتى يثير المتاعب فى وجه طغرلبك ويبعد عن بغداد . وكان ابراهيم على عداء مع أخيه طغرلبك ، لذا رحب بدعوة البساسيرى وخرج على طاعة طغرلبك ، مما دفع طغرلبك الى مغادرة بغداد مؤقتاً ، ليقضى على عصيان أخيه ابراهيم(٣٢) .

---

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٠٧ — ٢٠٩ .

(٢٩) السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٦٤ ، سهيل زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٥٦ — ٢٦٤ .

(٣٠) الغز oguzlar ، كما يشير الكاتب التركى فاروق سومر ، بمعنى التركمان ، والتركمان هم فريق من الاتراك ، واصبحت كلمة تركمان — غز — فى القرن الخامس الهجرى ، تطلق على كل تركى مسلم يعيش حياة البداوه ، وهم يعيشون فى قبائل . وقد عدد رشيد الدين الهمزانى هذه القبائل بأربعة وعشرين قبيلة ، من بينهم قبيلة قنق ink وهى التى كان منها السلاجقة .

انظر : Faruke Summer : OGuzr p. 9-25.

حامد زيان : حلب فى العصر التركى ص ١٤٣ — ١٤٥ .

(٣١) السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٦٥ .

(٣٢) السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٦٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٩ ص ٤٠٠ .

ومن الجدير بالذكر أن المؤيد فى الدين داعى الدعاه انحاز الى جانب البساسيرى . راجع المؤيد فى الدين : السيرة المؤيدية ص ١٠٠ — ١٠١ .

أما البساسيرى فرأى ان يتحالف مع قوة أخرى تقوى من نسائه وتساعده على الصمود فى وجه الخلافة العباسية وحلفائها من السلاجقه ، فراسل الفاطميون فى مصر ، ورحب الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ — ١٠٩٤ م) بذلك ، وارسل الى البساسيرى « الخلع السنيه والمـال الكثير »(٣٣) .

وكان لمساعدات الفاطميين للبساسيرى أثرها فى تقوية جانبه ، مما دفعه الى ان يخرج عام ٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م على رأس قواته حاملا معه « الرايات المصرية »(٣٤) ، ودخل بغداد ، وتشابكت قواته مع قوات الخليفة ، التى هزمت امام جيوش البساسيرى ، وأدى ذلك الى أن اسقط البساسيرى خطبة العباسيين ، ودعى للخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، وزيد فى الآذان « حى على خير العمل » ، كما ألقى القبض على الخليفة العباسى القائم وحبسه(٣٥) .

واستمر الخليفة فى سجن البساسيرى ، حتى تخلص طغرلبك من مشاكله الداخلية وعصيان أخيه ابراهيم ، وبعدها أرسل الى البساسيرى

---

(٣٣) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٦ أ ، السيوطى : الخلفاء ص ٦٦٥ .

وهناك بعض الاراء تقول ان مكاتبة البساسيرى للفاطميين كانت قبل استدعاء الخليفة العباسى للسلاجقة .

انظر : ابن الاثير : الكامل جـ ٩ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٩ ص ٤٠٠٠ .

وقد أورد المؤيد فى الدين داعى الدعاه نص العهد الذى منحه الخليفـة الفاطمى للبساسيرى راجع المؤيد فى الدين : السيرة المؤيديه ص ١٢٢ — ١٢٤

(٣٤) المقصود بذلك الرايات الفاطمية . ويذكر ابن ابى الدم الحموى الى أن البساسيرى عندما دخل بغداد كان معه اعلام بيض مكتوب عليها اسم المستنصر بالله ابى تميم . التاريخ المظفرى ورقه ٨٤ أ .

(٣٥) السيوطى : الخلفاء ص ٦٦٥ . ويذكر الخطيب البغدادى انه حضر يوم الجمعة الذى قطع فيه الخطبة للعباسيين فيقول « حضرت ذلك وسمعته » .

انظر : ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٧ ب .

ويشير السيوطى الى أن الخليفة اثناء حبسه كتب قصته وانفذهـا الى مكة فعلقت فى الكعبة (انظر : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٦٦) .

يأمره بالافراج عن الخليفة ، ويبدو أن البساسيرى قد خشى من قـوة طغرلبك فأفرج عن الخليفة واعاده الى بغداد ، كما أعيدت الخطبـة للعباسيين ، ولم يكتف طغرلبك بهذا ، وانما أرسل عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م جيشـاً كبيراً لمحاربة البسـاسيرى حيث انزلوا به هزيمة سـاحقة « وظفروا به وقتلوه وحملوا رأسه الى بغداد وطيف بها »[٣٦] •

هكذا استمر الصراع بين الفاطميين والعباسيين ، حتى كان القضاء على البساسيرى ، ولم يكن القضاء على حركة البساسيرى نهاية المطاف فى ذلك الصراع ، وانما استمر هذا الصراع قائما ، وانتقل فى المرحلة القادمة الى أرض الشام ، حيث اشتد صراع السلاجقه مع الفاطميين •

* * *

(٣٦) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٧ ب ، السيوطى : الخلفاء ، ص ٦٦٥ ، حسن احمد محمود : العالم الاسـلامى فى العصر العباسى ص ٥٦٩ ـ ٥٧٠ •

الفصل الثالث

الفاطميون والتفكك السياسى

(أ) صراع الفاطميين مع السلاجقه

(ب) التنافس بين الوزراء

الفاطميون والتفكك السياسى

(أ) صراع الفاطميين مع السلاجقه

منذ أن دخل طغرلبك بغداد ، وخلع عليه الخليفة ولقبه « بملك الشرق والعرب » أصبح السلاجقة هم حماة الدولة العباسية وأملاكها ، ووقع على عاتقهم عبء الدفاع ضد اعدائها ، وكان الفاطميون يمثلون أحد أعداء الدولة العباسية ــ كما سبق أن أشرنا ــ مما أوقعهم فى صراع مع السلاجقه •

واذا كان السلطان طغرلبك لم يتمكن من الدخول فى حــرب مــع الفاطميين ، لأنه توفى بعد دخوله بغداد بقليل (عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م)، فان السلطان الب ارسلان (٤٥٥ ــ ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ ــ ١٠٧٢ م) رأى ضرورة محاربة الفاطميين ، واسترداد بلاد الشام منهم[1] • وكان ذلك ايذاناً ببداية الصراع بين السلاجقه والفاطميين حول بلاد الشام ، والذى انتهى باضعاف القوتين ومهد الطريق فيما بعد لاستيلاء الصــليبيين على كثير من مدنه بدون عناء •

وبالفعل أرسل السلطان الب ارسلان ابنه ملكشاه على رأس جيشه الى حلب عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ، وكان محمود بن نصر بن صــالح بن مرداس العقيلى واليا عليها من قبل الفاطميين ، ويبدو أن محمودا هذا خشى من قوة السلاجقه خاصة وانه لم تكن لديه قوات كبيرة تمكنه من الصمود فى وجههم ، بالاضافة الى أنه أحس ان الدولة الفاطمية تمر بمرحلة ضعف وفقد الامل فى الحصول على مساعدة منها ، لذا فضل

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ •

ان يعلن انضمامه للسلاجقه ، وحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبه وأحل محله اسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله[٢] .

غير أن محمود بن نصر اعاد مرة أخرى الخطبة للفاطميين فى العام التالى ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م مما دفع السلطان الب ارسلان الى الزحف بنفسه الى حلب ، وفرض عليها الحصار مدة حتى استسلم محمود ، فأعاده الب ارسلان الى حكمها . ومنذ ذلك الحين دانت حلب والمدن الشمالية للنفوذ السلجوقى [٣] .

أما جنوب بلاد الشام ، فقد توجهت الجيوش السلجوقية اليـــه ، واستطاع الأتابك آتسز الاستيلاء على الرمله وبيت المقدس وغيرهما من مدن فلسطين عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ، كما تابع فتوحاته فى الجنوب واستولى على دمشق وما جاورها من أعمال [٤] . وبعد أن أتم آتســز فتوحاته فى الجنوب ، أصبح الجنوب خاضعا للنفوذ السلجوقى ، وتقلد حكمه القائد أتسز نفسه[٥] .

غير أن الب ارسلان لم يلبث ان انشغل عن أمر بلاد الشام فى السنوات القليلة القادمة بحربه مع الامبراطور البيزنطى رومانوس

---

(٢) محمد جمـــال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشـــام والعراق ، ص ٦٠ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، ص ٥٦ .

ويذكر السيوطى الى ان محموداً هذا خطب للقائم ومن بعده الالب ارسلان وذلك « لمـــا رأى قوة دولتهما وادبار دولة المستنصر » انظر تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٠ .

(٣) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٨ أ ، محمد كرد على : خطط الشام ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٠ ، سهيل زكار : مدخـــل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٦٥ — ١٥٨ .

(٥) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٩ أ ، ابن الاثـــير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣ — ٢٥ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٠٢ ، ٢٢٨ .

الرابع ، الذى خرج على رأس جيشه عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م لمحاربة السلاجقة ، الا أن الب ارسلان انزل به هزيمة ساحقة بملاذجرد ، ووقع الامبراطور نفسه فى الأسر[٦] .

ثم كانت وفاة السلطان الب ارسلان فى العام التالى (٤٦٥ هـ / ١٠٧٣م) واعتلاء ابنه ملكشاه عرش السلطنة (٥٦٥ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م) ، وكان من أهم ما انشغل به ملكشاه هو بسط سيطرته على معظم اجزاء الشام والقضاء نهائياً على النفوذ الفاطمى مما أدى الى تجدد الصراع مرة أخرى بين الفاطميين والسلاجقة .

* * *

اشتد الصراع بين السلاجقه والفاطميين بعد أن تولى السلطان ملكشاه السلطنة السلجوقيه ، اذ أخذ على عاتقه مهمة اتمام السيطرة على بلاد الشام وانتزاعها من يد الفاطميين ، وقام بتشجيع القائد أتسز بالاستمرار فى محاربة الفاطميين ، ويبدو أن الانتصارات التى أحرزها أتسز على حساب الفاطميين واستيلائه على فلسطين ودمشق ، شجعته على التفكير فى السير صوب الديار المصرية لفتحها وانتزاعها من يد الفاطميين ، غير أن الوزير بدر الجمالى ـ وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ـ ، انزل به هزيمة ساحقه ، فعاد أتسز بمن بقى معه من جند الى دمشق[٧] ، وقد أدت هذه الهزيمة التى لحقت بأتسز الى استهانة أهالى الشام به ودفعهم ذلك الى اعادة الخطبة من جديد للفاطميين[٨] . فما كان من السلطان ملكشاه الا ان قرر عزل أتسز عن حكم بلاد الشام

---

(٦) عن احداث هذه الفترة انظر :

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ، لويس ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ،

(٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٠٩ ـ ١١١ .

(٨) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١١١ .

بعد فشله فى تصفية النفوذ الفاطمى ، وعهد بحكمه الى خيه تاج الدولة أبى سعيد تتش » وأقطعه الشام وما يفتحه من تلك النواحى » [٩] .
وأسرع تتش بدخول دمشق وأخذها من أتسز ، ولم يكتف بذلك وانما فكر فى التخلص منه عن طريق القتل ، حتى يصفى له حكم الشام كله ، ولا ينازعه فيه منازع ، وبالفعل انتهى امر أتسز بالقتل ، وبذلك انفرد تتش ببلاد الشام ، وأخذ فى وضع يده على كافة حصونه مثل بزاعه والبيره وانطرطوس[١٠] ، كذلك بذل تتش عدة محاولات للاستيلاء على حلب ، فقد بادر تتش بالزحف على حلب لضمها الى سلطانه ، غير أن اهلها رفضوا تسليمها له ، وكتبوا الى مسلم بن قريش العقيلى ليسلموه حلب ، فأسرع مسلم وتسلم حلب عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ، والتف حول مسلم مجموعة كبيرة من القبائل العربية مثل بنى نمير والمولده وبنى شيبان ، وبعث مسلم الى السلطان ملكشاه يخبره بتفاصيل ما حدث ، وتعهد له بحفظ حلب ، واستسمحه حكمها نيابة عنه ، ويبدو أن ملكشاه كان يخشى من اتساع سلطان أخيه تتش وزيادة اطماعه ، لذلك فضل أن يكون حكم حلب لمسلم هذا بدلا من أن يتولى تتش حكمها .

واذا كان تتش قد انصاع لأوامر السلطان وكف يده عن حلب ، فانه وبعد مرور خمس سنوات أخذ يتطلع للاستيلاء عليها ، وذلك عندما خرج على السلطنة السلجوقية أحد أبناء البيت الأيوبى وهو سليمان ابن قتلمش ، الذى انزل الهزيمة بمسلم العقيلى وقتله وفرض الحصار على حلب ، فما كان من تتش الا ان جهز جيشه واتجه به صوب حلب ، ليضع حداً لتوسعات سليمان بن قتلمش ، وبالقرب من حلب فى موضع يقال له عين سلم انزل تتش هزيمة ساحقه بجيوش سليمان بن قتلمش ،

---

(٩) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٩ أ ، (مخطوط) ، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٥ ورقه ٣١ (مخطوط) ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٩٩ .

(١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٢ ، ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٩ ب (مخطوط) .

وقتل سليمان نفسه فى هذه المعركة ، ودخل تتش حلب بعد ذلك وبسط نفوذه عليها[11] • غير أن هذه النتيجة التى وصلت اليها احداث حلب لم ترض السلطان ملكشاه الذى خشى من اتساع نفوذ أخيه تتش ، لذلك سار بجيوشه متجها الى بلاد الشام لتصحيح أوضاعه ، وعندما قاربت جيوشه مشارف الشام رفع تاج الدولة تتش يده عن حلب وعاد الى دمشق ، فى حين دخلت جيوش ملكشاه حلب ، وأقر على حكمها قسيم الدولة آق سنقر الحاجب عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م [12] •

* * *

وهكذا استمر الصراع بين الفاطميين والسلاجقة قائما ببلاد الشام قبيل وصول الصليبيين ، ليجعل من بلاد الشام مرتعاً خصباً للفرقة والانقسام ، وليزيد من تفككها وضعفها ، مما سهل بعد ذلك على الصليبيين مهمة الاستيلاء عليها • وهناك من الأراء ما يفيد انه نتيجة لذلك الصراع الذى نشب بين الفاطميين والسلاجقه ببلاد الشام ، وبسبب ضعف الدولة الفاطمية ، وتخوفها من السلاجقه ، وزحفهم على الديار المصرية ، وتكرار ما قام به أتسز من قبل ، ارسلوا — أى الفاطميين — الى الغرب الأوروبى يستنجدون بهم ، ويدعوهم للحضور الى بلاد الشام ويأخذوا بيت المقدس لكى يكونوا حاجزاً بينهم وبين السلاجقه[13] •

---

(١١) ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٧ — ١١٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٧٠ ،
Setton : Hist of the Crusades, vol. I , p 160.

(١٢) هو قسيم الدولة آق سنقر الحاجب بن آل توغان من قبيلة ساب يو احدى القبائل التركيه ، وكان مملوكاً للسلطان الب ارسلان ، وتربى مع ولده ملكشاه ، ولذلك رعى له ملكشاه هذه النشأة ، بعدأن تولى السلطنة ، وجعله حاكماً على حلب كما تقدم ، ويشير ابن الاثير الى أن الذى اشار على ملكشاه بتولية آق سنقر حكم حلب هو وزيره نظام الملك وذلك لكى « يتخذ عند قسيم الدولة يداً ، وليبعده عن خدمة السلطان » ، والمعروف ان قسيم الدولة هذا هو اصل البيت الزنكى ، فهو والد عماد الدين زنكى وجد نور الدين محمود •
انظر : ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ٤ •

(١٣) انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٨٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٩ •

وسواء صدقت هذه الأقوال ام لم تصدق ، فمن الثابت تاريخياً أن العلاقة بين الفاطميين والسلاجقه كانت علاقة سيئة الغايه ، مملوءه بالحقد والكراهية ، وذلك نتيجة ذلك الصراع القائم بينهما ، ولا ادل على ذلك من تلك السفاره التى ارسلها الوزير الفاطمى الأفضل بن بدر الجمالى الى الصليبيين اثناء محاصرتهم انطاكيه ، وقد عرض عليهم الأفضل فى تلك السفاره عرضاً فاطمياً للانتقام من السلاجقه ، وهو ان يتحالف الطرفان — الفاطمى والصليبى — فى القضاء على قوة السلاجقه ، واقتسام ممتلكاتهم بالشام فيما بينهم ، على ان يكون القسم الشمالى (سوريا) للصليبيين ، بينما يكون القسم الجنوبى (فلسطين) للفاطميين(١٤) •

واذا كان هذا العرض الفاطمى يوضح مدى جهل الفاطميين بطبيعة الحروب الصليبية ، والهدف من ورائها ، وغايتها فى الاستيلاء على بيت المقدس ، ومحاربة المسلمين أينما كانوا ، فانه يوضح لنا كذلك مدى ما وصل اليه حال المسلمين من فرقة وانقسام ، والنتائج التى ترتبت على ذلك الصراع ، وهو الانتصار بالصليبيين والاستعانة بهم لضرب قوى المسلمين • ومن ناحية أخرى يفسر لنا الأسباب الرئيسية التى أدت الى نجاح الصليبيين فى الاستيلاء على ديار المسلمين •

(١٤) عن تفاصيل ذلك انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ •

(ب) التنافس بين الوزراء

اشتد التنافس بين الوزراء وكبار الامراء بمصر فى أواخر العصر الفاطمى ، وكان لهذا التنافس والصراع اثار سيئة على الحياة السياسية بمصر ، ومن أمثلة ذلك الصراع ما حدث بين شاور الذى استطاع التخلص من العادل بن الصالح طلائع بن رزيك عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٢م وتولى الوزارة للخليفة العاضد الفاطمى وتلقب بأمير الجيوش ، وضرغام الذى خرج عليه فى العام التالى (٥٥٧ هـ / ١١٦٣ م) ، واستطاع التغلب عليه ، مما دفع شاور الى الهرب الى دمشق طالباً النجده من نور الدين محمود • اما ضرغام فعاد بعد أن تتبع شاور الى أن خرج من مصر ، ايتولى وزارة العاضد[١٥] •

وتقابل شاور مع نور الدين محمود فى دمشق ، ووصف له حال مصر وما وصلت اليه من الضعف والتفكك « وضمن له ان بعث معه عسكراً أخذها له »[١٦] ، وأن يكون نائبه بها ، كما تعهد له بدفع ثلث خراج مصر اذا اعاده الى الوزارة[١٧] •

واستجاب نور الدين محمود بعد تردد لنداء شاور ، خاصة بعد أن علم بتطلعات عمورى الأول ملك بيت المقدس فى الاستيلاء على مصر ، منتهزاً فرصة الضعف التى تمر بها ، ولم يكن من المنتظر ان يترك نور الدين محمود مصر تسقط فى يد الصليبيين[١٨] •

---

(١٥) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ١٠٠ ب •

(١٦) ابن ابى الدم : المصدر السابق ، ورقه ١٠٠ ب •

(١٧) ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ١٣٠ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٣٤٦ •

(١٨) ابن أيبك : درر التيجان وغرر تواريخ الزمان ، جـ ٤ ورقه ٣٦٠ (مخطوط) ، ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، ورقه ٥ (مخطوط) •

ولم يلبث نور الدين أن كلف أسد الدين شيركوه بالمسير صـــحبة شاور الى مصر عام ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م ، وقد صحب أسد الدين فى هذه الحملة ابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين الأيوبى ، واتجهت حملة أسد الدين صوب مصر ، حيث انزلت هزيمة ساحقه بذلك الجيش الذى ارسله ضرغام لصد حملة أسد الدين ، واستولت على بلبيس . ولـما علم ضرغام بأنه لا طاقة له بجند نور الدين محمود أرسل مستنجدا بعمورى الأول الصليبى ، واعــداً اياه بتسـليمه مصر ، غير أن آمال ضرغام لم تتحقق ، اذ قتل ضرغام بعد قليل ، وتخلى عنه سائر الجند والاهالى وكذلك الخليفة ، واستعاد شاور الوزارة(١٩) .

غير ان شاور حنث فى وعــده لنور الدين محمود ورفض دفـــع الأموال التى اتفق عليها ، مما دفع سد الدين الى اســـتخدام القوة لارغامه على تنفيذ تلك الوعود ، فما كان من شاور الا أن لجأ الـــى الصـــليبيين واســـتنجد بعمورى الأول ، ووعــده بدفع مبلغـــاً كبيراً من المـــال(٢٠) .

وقد رحب عمورى كل الترحيب بطلب شاور ، وزحفت جيوشـــه على الفور الى مصر ، واستقبله شاور استقبالا حافلا ، واتجها سوياً لمحاربة أسد الدين الذى تحصن ببلبيس ، وفرضا الحصار على بلبيس ، وأخيراً تم الاتفاق على خروج كل من أسد الدين وعمورى من مصر ، وفق اتفاقية عقدها شاور معهما(٢١) .

---

(١٩) ابن أبى الدم : المصدر السابق ، ورقه ١٠١ ، أبو شـــــامه : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢٠) يشير ابن ابى الدم الى ان شاور تعهد بدفع مبلغ اربعمائة الف دينار مصرية لعمورى اذ هو أخرج أســـد الدين من مصر .

انظر : التاريخ المظفرى ، ورقه ١٠١ أ ،

william of Tyre : Allhist of Deeds Done beyond the sea, vol, I p . 295 - 320.

(٢١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٢٢ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ١٣٢ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٣٤٧ .

وهكذا كان للصراع الذى تفشى فى أرجاء مصر بين الوزراء وكبار الأمراء ، اثاراً سيئة على مصر ذاتها اذ طمع فى الاستيلاء عليها الصليبيون . والحقيقة أن الصليبيين كانت لهم اطماع قديمة فى مصر ، فمنذ الحملة الصليبية الأولى فكر بلدوين الأول ملك بيت المقدس فى الاستيلاء عليها عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، غير ان بلدوين توفى وهو فى الطريق اليها ، ثم ازدادت فكرة الاستيلاء على مصر لدى الصليبيين خاصة عندما ضاق عليهم الخناق ببلاد الشام بعد أن أتم نور الدين محمود توحيد الجبهة الاسلامية ، وانزل بهم عدة هزائم وانتزع منهم كما انزع والده عماد الدين من قبل مجموعة من المدن والحصون(٢٢) . لذلك حاول بلدوين الثالث عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م غزو مصر منتهزا فرصة الفوضى التى عمتها عقب مقتل الخليفة الفائز ،غير أن الادارة الفاطمية استطاعت ان تثنيه عن تلك المحاولة مقابل تعهدها بدفع مبلغاً من المال سنويا(٢٣) .

واذا كان كل من أسد الدين وعمورى الأول قد خرجا من مصر وفق الاتفاق السابق ذكره ، الا ان الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فقد كان لوجودهم بمصر اثناء الحملة السابقة ، ووقوفهم على أحوال مصر السياسية والعسكرية والاقتصادية اثره فى تشجيعهم بعد ذلك فى معاودة الرجوع اليها ، فقد قام أسد الدين(٢٤) ، وعمورى الأول بحملات

---

(٢٢) حامد زيان : العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام ، ص ٧٠ — ٧١ .

(٢٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٦٦١ ،
william of Tyre : Ahist of Deeds , vol, II, pp. 235 - 295.

(٢٤) توجد عدة أسباب دفعت نور الدين بأن يسمح لاسد الدين بالقيام بحملاته على مصر منها الرغبة فى الانتقام من شاور الذى استنجد بالصليبيين ، وسرعة الاستيلاء عليها قبل أن يسبقهم الصليبيين الى ذلك ، واستبداد شاور بالسلطة ومكاتبة أهل القصر لنور الدين محمود للحضور الى مصر وتخليصهم من شاور وظلمه ، بالاضافة الى الرغبة فى القضاء على الدولة الفاطمية الشيعية ، ومما تذكره المصادر ان الخليفة العباسى المتقى لامر الله ارسل الى نور الدين محمود عام ٥٤٩ هـ يطلب منه السير الى مصر والاستيلاء عليها ، وكتب له عهدا بحكمها .

أخرى على مصر بقصد الاستيلاء عليها[٢٥] •

وتتابعت الحملات بعد ذلك حتى استطاع شـيركوه فى حملته الثالثة[٢٦] عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م — وكان بصحبته ايضاً ابن أخيه صلاح الدين — القبض على زمام الأمور بمصر ، وتولى وزارة العاضد، والتخلص من شاور عن طريق القتل[٢٧] •

وبذلك انتهى الصراع بين الوزراء الفاطميين ، والذى كان من اهم نتائجه طمع الصليبيين فى الاستيلاء على مصر •

* * *

= انظر : أبو شامه : الروضتين ج ١ ص ١٤٢ ، السيوطى : الخلفاء ص ٧٠٠ ، حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨ ، أبو المحاسـن : النجـوم ج ٥ ص ٣٤٨ •

(٢٥) يذكر ابن أبى الدم الحموى فى احداث عام ٥٦٤ هـ « فيها توجه الفرنج الى مصر وسببه انهم لما دخلوها مرتين قبل ذلك اطلعوا على معايبها وجهاتها فطمعوا فى أخذها » .

التاريخ المظفرى ، ورقه ١٠١ ب) .

(٢٦) قام أسد الدين شيركوه بحملته الثانية على مصر عام ٥٦٢ / ١١٦٧ م •

وعن حملات أسد الدين انظر :

ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ١٠١ ، ١٠٢ ، ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ٣٤٨ — ٣٥٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٠٥ ،

(٢٧) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٢٩ — ٣٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٧٠ — ١٧١ ، ابن الراهب : تاريخه ، ص ١٨٧ .

الفصــل الـــرابع

الصراع زمن الاتابكه

(أ) حملة كربوغا والصراع بين الأمراء ٠

(ب) تحالف أمراء المسلمين مع الصليبيين ٠

(جـ) فشل حملات مودود وبرسق ٠

(د) تحالف حكام دمشق مع الصليبيين ضد زنكى ٠

(هـ) دبيس بن صدقه والتمزق الداخلى ٠

(و) تنافس الأمراء بحلب عقب وفاة نور الدين محمود ٠

(ز) موقف اتابكه الموصل من صلاح الدين ٠

الصراع زمن الاتابكه

(أ) حملة كربوغا والصراع بين الآمراء

بعد وصول الصليبيين الى انطاكيه وفرضهم الحصار عليها ، أرسل صاحبها ياغى سيان يستنجد بمعظم القوى الاسلامية المجاوره ، فيما عدا رضوان صاحب حلب ، وذلك لحدوث الخلاف فيما بينهم ، على الرغم من أن انطاكيه من الناحية الشرعية عملا من أعمال حلب اى أن ياغى سيان تابعا لرضوان !! كما أرسل ياغى سيان كذلك الى السلطان السلجوقى بركياروق بن ملكشاه (٤٨٧ – ٤٩٨ هـ / ١٠٩٤ – ١١٠٤ م) يستنجد به وبأتابكه كربوغاحاكم الموصل • ويبدو أن السلطان كربوغا قدادرك مؤخراً مسؤليته فى الدفاع عن بلاد الشام وصد العدوان الصليبى بصفته حامياً لاملاك العباسيين ، لذلك أصدر أوامره لقائده كربوغا حاكم الموصل ، فى تجهيز جيش والمضى به صوب بلاد الشام لصد هجمات الصليبيين ، وامده بما يلزم من جند وأسلحه ، كذلك استعان كربوغا بجنود من الاراتقه من شمال الجزيرة[1] •

واثناء سير كربوغا الى الشام انشغل باستخلاص الرها من يد الصليبيين ، مما أتاح الفرصة للصليبيين المحاصرين لانطاكيه من دخولها عن طريق الخدعه[2] • ولما علم بذلك كربوغا أسرع فى السير الى انطاكيه •

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٨٨ •

(٢) عن هذه الاحداث انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ ، ابن العديم : زبده الحلب ، ج ٢ ص ١٣٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٨٩ •

وفى البداية استبشر حكام الشام بحملة كربوغا ، وعقدوا معه اتفاقاً بمرج دابق لتوحيد صفوفهم امام الصليبيين ، ضم دقاق بن تتش صاحب دمشق وأتابكه طغتكين ، وأرسلان تاش صاحب سنجار ، وسكمان بن ارتق ، وجناح الدولة بن الحسين صاحب حمص • وقد رفض رضوان صاحب حلب الانضمام الى هذا الحلف(٣) وذلك لتخوفه من عدوه القديم دقاق صاحب دمشق من جهة ، وخشيته من اطماع كربوغا فى حلب من جهة ثنية(٤) ، ولعدائه لجناح الدولة بن الحسين من جهة ثالثة •

وهكذا نجد الآثار السيئة للصراع بين القوى الاسلامية وما نتج عنه من انقسام وتفكك ، تسيطر على كل أنحاء الشام ، فى حين كان من الواجب على هؤلاء القادة التخلى عن أحقادهم وتوحيد صفوفهم للتصدى لخطر الصليبيين •

***

وبعد أن وصل كربوغا وحلفائه الى انطاكيه ، وجد الصليبيون بداخلها(٥) ، ففرض عليهم الحصار ، ولم تكن قلعها قد سقطت فى يد الصليبيين ، وانما كانت حتى تلك اللحظة فى يد الحامية الاسلامية ، ومعنى ذلك أن الصليبيين أصبحوا محصورين من الداخل بالحامية

---

(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ص ١٩١ •

(٤) يرى رنسيمان أن كربوغا كان يتطلع الى الاستيلاء على حلب ، عن طريق استيلائه على انطاكية ، غير أن هذا الأمر لم يرد ذكره فى المصادر الاسلامية •

Runciman : Hist of the Crusades vol 2, p 213.

(٥) استولى الصليبيون على مدينة انطاكية عن طريق خيانة نيروز الارمنى ، عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، وقتل ياغى سيان ، كما قتل الصليبيون كل من صادفوه من المسلمين سواء كانوا أطفالا أم نساء •

انظر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج ٢ ص ١٣٥ •

الاســـلامية التى بالقلعة ، ومن الخارج بقوات كربوغا وحلفائه[٦] • وأخذت وطأت الحصار تشتد على الصليبيين بأنطاكيه حتى « عـــدم القوت عندهم واكلوا الميته »[٧] • وساء موقفهم كثيراً •

غير أنه فى الوقت الذى أخذ فيه الصـــليبيون يستعيدون قوتهم ويرفعون من روح جنودهم المعنويه خاصـــة بعد أن فقدوا الأمل فى مساعدة الامبراطور البزنطى لهم[٨] • اذ بالمعســـكر الاسلامى يزداد تفككاً •

وعندما أحس كربوغا بضعف مركزه أرسل الى رضوان صـــاحب حلب كى ينضم اليه ، غير أن رضوان رفض رفضاً تاماً الاشتراك مع كربوغا • ويبدو أن محاولات كربوغا لضم رضوان اليه قد اغضبت خصمه القديم دقاق ، الذى فضل العوده الى دمشق خوفاً من مهاجمة الفاطميين لدمشق بعد استيلائهم على فلسطين ، وفى نفس الوقت تخوف جناح الدولة بن الحسين صاحب حمص من الأراتقه ، كما أن سوء تصرف كربوغا أدى الى زيادة الفرقة والانقســـام داخل المعســـكر الاســـلامى[٩] •

وهكذا أخذ الحلف الاسلامى يتزعزع بسبب الصراعات والأحقـــاد التى تفشت بين الأمراء ، مما كان له عواقب وخيمه على مستقبل الدول الاســـلامية •

وحدث فى تلك الأثناء أن طلب الصليبيون من كربوغا الأمان

---

(٦) ابن العديم المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٦ •

(٧) ابن العديم : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٧ •

(٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبيه جـ ١ ص ٢٠٨ ،
Runciman : Hist of the crusades, vil 1 , p 239 - 245.

(٩) ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٣٦ ، ابو الفدا : المختصر جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ســـعيد عاشـــور : الحركة الصـــليبية ، جـ ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ •

والاتفاق ورفع الحصار ، فرفض كربوغا ذلك ، مما دفعهم الى الخروج من أنطاكيه على شكل جماعات ، وأشار أحد حلفاء كربوغا وهو وثاب بن محمود أحد زعماء القبائل العربية على كربوغا بمهاجمتهم وهم على تلك الحالة[10] ، غير أن كربوغا رفض ذلك واستهان بأمرهم ، وأصر على محاربتهم مجتمعين ، وبالطبع ان دل هذا على شيء فانما يدل على سوء تصرف وعدم ادراك للأمور ، لأنه ما أن اجتمع الصليبيون خارج أنطاكيه حتى انزلوا هزيمة ساحقه بجيش كربوغا الذى امتلأ بالحقد والتنافس ، واضطر كربوغا الى العودة الى الموصل دون أن يحقق شيئا ، سوى انتصار الصليبيين الساحق على جيوش المسلمين ، وقد صار الصليبيون منذ ذلك التاريخ هم سادة شمال الشام[11] !! واصبح الطريق ألى بيت المقدس مفتوحاً امامهم ... وذلك بفضل الصراع والتنافس بين الأمراء المسلمين .



(١٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٩١ .

(١١) عن هذه الاحداث راجع : ابو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ص ٢١١ ، ابن العديم : زيدة الحلب جـ ٢ ص ١٣٧ ، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقه ٩٢ أ ، ب ،

william of Tyre : Ahist of Deeds vol I — p . 225 - 261.

(ب) تحالف آمراء المسلمين مع الصليبيين

لا شك فى أن زيادة الفرقة والانقسام بين المسلمين كانت من مصلحة الصليبيين ، لذلك عمل الصليبيون دائماً على تغذية العداء بين القادة المسلمين ، واثارة الصراع والمنافسة بينهم ، وذلك حتى يتمكنوا من تثبيت اقدامهم ببلاد الشـــام ، خاصة فى بداية استقرارهم بأراضيه •

ومن امثلة ذلك ما حدث عام ٤٩١ / ١٠٩٨ م عندما خرج عمـــر والى عزاز عن طاعة ســـيده رضوان[١٢] ، وكان ذلك بتشـــجيع من الصليبيين ، وقد وصلت درجة الانحطاط لدى الصليبيين انهم استخدموا احدى نسائهم فى تسهـــيل اقامة العلاقات الودية بين عمراً هـــذا وبين الصليبيين[١٣] •

وعندما علم رضوان بخروج عمراً هذا عن طاعته ، جمع جيشـــه وتقدم صوب عزاز لاعادته الى صوابه ، وهنا استنجد عمر بحلفائه من الصليبيين خاصة جود فرى دى بوابون[١٤] ، ولم يتردد جود فرى فى تلبية نداء عمر ، كذلك انضم اليه ريموند التولوزى وبعض جنـــود الرها ، فلم يسع رضوان ازاء هذا الحشد الصليبى الا ان رفع الحصار عن عزاز وعاد الى حلب •

أما الصليبيون فقد كسبوا كثيراً من وراء هذا الصراع ، اذ استولوا على مجموعة كبيرة من الغنائم والأسلاب ، سواء كان ذلك من جيش رضوان ام من عزاز نفسها ، اما الغنيمة الكبرى فقد جناها جود فرى ،

---

(١٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ص ١٣٢ •

(١٣) Runciman : Hist of the Crusades, vol F, p 257.

(١٤) ابن العديم : زبدة الحلب جـ٢ ص ١٣٢ •

وذلك عندما أقسم له عمر يمين الولاء وأصبح تابعاً له ، ودخلت عزاز فى ممتلكات جود فرى ، وبعدها أقر جود فرى عمراً حاكماً عليها (١٥) •

والحقيقـــة ان الخوف والتشتت والصراع بـــين مختلف القوى الاسلامية لم تدفع عمراً بمفرده الى الارتماء فى أحضان الصليبيين ، وانما كان هذا هو حال كثير من الأمراء المسلمين ، ويتضح لنا هذا بجلاء من استعراض حملتى مودود وبرسق على بلاد الشام •

* * *

---

(١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٣٣ ،
Runciman : Hist of the Crsades vol I , p 354.

(ج) فشل حملات مودود وبرسق

بعد استيلاء الصليبيين على كل من انطاكيه والرها ، أخذوا فى ممارسة عدوانهم على باقى القرى والضياع الاسلامية بشمال الشام ، ولم يكن فى مقدور حكام تلك البلاد الزود عن بلدانهم ، لذلك اكتفوا بدفع الأموال للصليبيين اتقاء شرهم .

وقد دفع هذا الوضع بعض أهل حلب وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء الى الذهاب الى بغداد للاستنجاد بالخليفة العباسى والسلطان السلجوقى(١٦) ، وبعد أن شعر السلطان السلجوقى بما يعانونه من ظلم وعدوان الصليبيين ، قرر ارسال جيشاً الى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين واستخلاصها من ايديهم ، وجعل رآسة هذا الجيش الى شرف الدين مودود صاحب الموصل(١٧) ، وخرج بصحبة مودود أحمد يل القطبى الكردى ، وقطب الدين سكمان صاحب ديار بكر ، والأمير ايلغازى صاحب ماردين(١٨) .

واتجه مودود على رأس هذا الجيش الضخم الى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين ، فما كان من الصليبيين الا أن اخذوا فى الاستعداد

---

(١٦) يشير المؤرخون الى انه لما كانت « أول جمعه من شعبان عام ٥٠٤ هـ حضر رجل من اهل حلب وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء الى جامع السلطان ببغداد ، فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه » ، وفى الجمعه الثانية ذهبوا « الى جامع الخليفة وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضجيج والاستغاثة والنحيب » .
انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان Rec. Hist . or . T 3, p 541. ،
ابن الفرات : تاريخ الامم والملوك ، ج ١ ص ٤٧ .

(١٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٣ ،
Smial : Crusading warfare , p 55.

(١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٥٨ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان Rec. Hist . or . T 3, p 542. ، العينى : عقد الجمان ، ج ٢٠ ق ٣ ورقه ٦٥٢ — ٦٥٣ . (مخطوط)

لمواجهة جيش مودود ، وذلك بتحصين قلاعهم وحشدها بالرجال والسلاح • كما ان الصليبيين اتبعوا أسلوباً آخر فى التصدى لحملة مودود ، وهو أسلوب احداث الوقيعة فى صفوف جيش مودود ، واثارة روح المنافسة فيما بين قواده • والواقع ان هذا الأسلوب الأخير هو الذى أدى الى فشل حملة مودود كما سيتضح لنا بعد ذلك •

فبعد أن نزل مودود على تل باشر — وكانت تحت سيطرة جوسلين وفرض عليها الحصار ، ولم يكن لدى جوسلين من القوة ما يستطيع بها منازلة مودود واجباره على رفع الحصار عنها ، لذا عمد الى أحداث الفرقة والانقسام داخل صفوف جيش مودود واتباع أسلوب الحيلة لرفع الحصار عن تل باشر • وذلك عندما انتهز جوسلين فرصة مرض سكمان القطبى صاحب ديار بكر وارمينيه واخلاط ، فأرسل سرا الى أحمد يل الكردى « وأخذ يلاطفه بمال وهديه » (١٩) ، وأطمعه فى بلاد سكمان القطبى ، ووعده بأن يساعده فى تحقيق ذلك بشرط رفع الحصار عن تل باشر(٢٠) • ويبدو أن هذه الفكرة حازت قبولا لدى أحمد يل ، واتفق مع جوسلين على تنفيذها ، عاقداً الأمل فى الاستيلاء على أملاك سكمان القطبى المريض ، ومعتمدا فى ان تساعده رباط المصاهره الذى كان بينه وبين سكمان عند السلطان السلجوقى فيوافق على تسليم ممتلكات سكمان اليه ، وفى نفس الوقت رأى احمد يل ضرورة محالفة جوسلين للاستعانة به فى تحقيق أمله فى الاستيلاء على أملاك سكمان اذا اقتضت الظروف استخدام القوة •

وتنفيذاً للاتفاق المعقود بين أحمد يل وجوسلين ، ألح أحمد يل على مودود فى رفع الحصار عن تل باشر وتركها وشأنها ومتابعة السير الى الشام ، حيث كان رضوان — صاحب حلب — فى تلك الأثناء واقعاً

---

(١٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٥ •

(٢٠) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان Rec . Hist . or . T3 , p 542.

تحت ضغط الصليبيين مما دفعه الى الاستنجاد بمودود[٢١] ، واضطر مودود الى الاذعان لالحاح أحمد يل ورفع الحصار عن تل باشر مكرها ، وتابع مسيره الى الشام[٢٢] .

وعلى هذا النحو يتضح لنا نجاح الصليبيين فى احداث الفرقة والانقسام داخل صفوف المسلمين ، ويتضح كذلك أن الفائز الوحيد هم الصليبيون ، الذين نجحوا فى تثبيت اقدامهم ببلاد الشام والجزيرة بفضل تلك تلك الفرقة والانقسام التى انتشرت بين صفوف المسلمين .

* * *

أما موقف رضوان من حملة مودود ، فهو يوضح لنا توضيحاً كبيراً ما وصل اليه حال القوى الاسلامية من تمزق واختلاف ، والى أى حد بلغ الصراع والمنافسة فيما بينهم .

ذلك انه ما أن وصلت جيوش مودود وحلفائه الى حلب ، تلبيـة لاستغاثة رضوان نفسه ، الا واغلق رضوان أبواب حلب فى وجه تلك الجيوش ، وقد اشار الى ذلك صراحة كلا من ابن القلانسى والعظيمى وهما مؤرخان معاصران لتلك الأحداث[٢٣] .

---

(٢١) كان الملك رضوان قد أرسل الى مودود عدة رسائل يطلب منه فيها ضرورة الحضور اليه ونجدته .

انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٥٩

(٢٢) يبدو ان مودود اضطر الى موافقة احمد يل والاستجابة لطلبـه فى رفع الحصار عن تل باشر ، وذلك لان أكثر العساكر والجنود فى جيش مودود كانت تابعة لأحمد يل ، وخشى مودود عاقبه انقسام احمد يل عليه .

انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٥ .

(٢٣) فيذكر مثلا ابن القلانسى « واغلق — أى رضوان — ابواب حلب فى وجوههم واخذ الى القلعة رهاين عنده من أهلها لئلا يسلموها »

انظر : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٥ ، العظيمى : تاريخ العظيمى Jornol Asiatique, Tccxxx, p 481.

ويتعجب المرء من الدافع الذى أدى برضوان الى هذا الموقف ، وهناك بعض الاراء التى تحاول الدفاع عن هذا الموقف بتخوف رضوان مما تعيثه جيوش مودود من فساد وخراب فى حلب، خاصة بعد مافعلوه من سلب ونهب بعض أعمال وقرى حلب اثناء زحفهم اليها « وفعلوا اقبح من فعل الفرنج »[٢٤] • غير أن هذا ليس سبباً كافياً يدفع رضوان الى اغلاق أبواب حلب فى وجه مودود ، الذى حضر لمحاربة الصليبيين ، وفى وقت كانت حلب محتــاجه فيه فعلا الى من يــدافع عنها ضــد الصليبيين ، ولا ننسى أن الذى دفع السلطان السلجوقى فى ارســال مودود كان صرخات واستغاثة أهل حلب انفسهم • أما السبب الحقيقى فيعود الى تخوف رضوان على ملكه من تلك الجيوش السلطانية ، فان جيش مودود ما هو الا جيش الســلطان السلجوقى ، وقد حضر الى الشام بأمر من السلطان ، وهو يحارب باسمه ، ويبدو أن رضــوان خشى اذا دخل مودود حلب أن يسلمها أهلها اليه ، خاصة بعد أن أفسد رضوان أمور حلب بسوء سياسته وتصرفه ، واضعف من شأن حلب ، وجعلها تحت وصاية الصليبيين ، وتخوفه المستمر من محاربتهم ، لذلك أغلق أبواب حلب فى وجه مودود ، ومما يؤكد تخوفه من تسليم أهل حلب مدينتهم لمودود أنه أخذ منهم رهائن الى القلعة « لئلا يسلموها » على حد تعبير ابن القلانسى[٢٥] ، وهكذا نجد رضوان يضحى بمصالح المسلمين من أجل مصلحته الخاصة ، والاحتفاظ بملكه • أما السبب الذى دفع رضوان الى الاستنجاد بمودود عندما كان الأخير بتل باشر ، فهو أشبه بالمناورة السياسية ، وذلك فى محاولة من رضوان لابعاد خطر الصليبيين وهجماتهم المستمرة على حلب وأعمالها ، خاصة خطر تانكرد الذى كان دائم الاغاره على أعمال حلب ، واعتقد رضوان أن مودود لن يلبى استغاثته بهذه السرعة وذلك لانشغاله بمحاصرة تل باشر ، غير الأمور سارت على عكس ما يشتهى رضوان ، حيث أسرع مودود بالسير

---

(٢٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٥ ، سبط من الجوزى: مرآة الرمان (Rec. Hist . or T3 , — 542)

(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٧٥

الى حلب ، بعد أن ألح أحمد يل الكردى فى رفع الحصار عن تل باشر ، وهنا أسقط فى يد رضوان ، الذى لم يجد سوى اغلاق حلب فى وجه مودود ، وحتى يصرف مودود نهائيا عن حلب « أطلق — أى رضوان — الحراميه فى أخذ من يظفر به من اطراف العسكر »(٣٦) •

وهكذا يتضح لنا مدى تخبط القوى الاسلامى ببلاد الشام ، وتصارعها مع بعضها البعض •

* * *

ثم كانت نهاية مودود بالقتل بتحريض من أحد أمراء الشام ، لتؤكد حقيقة الصراع بين مختلف القوى الاسلامية •

فبعد أن اغلق رضوان أبواب حلب امام مودود وحلفائه ، عادت معظم الجيوش الى بلادها ، وتفرق الحلفاء ، ولم يبق مع مودود سوى طغتكين اتابك دمشق ، الذى سبق وأن انضم الى جيش مودود عقب وصول الأخير الى بلاد الشام ، ورحل كلا من مودود وطغكتين من حلب الى معرة النعمان ثم الى شيزر ومنها انتجهوا الى دمشق(٣٧) ، وهما حانقين على رضوان ما فعله ، وعزم طغكتين على قطع سبل المودة التى كانت بينه وبين رضوان ، كما اسقط اسمه من الخطبه بدمشق(٣٨) •

وأقام مودود بدمشق ضيفاً على طغتكين استعداداً لمعاودة القتال مرة ثانية ضد الصليبيين ، وتعود أن يؤدى صلاة الجمة بجامع دمشق(٣٩) ، وعندما كان يؤدى صلاته اذ وثب عليه أحد رجال

---

(٣٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٥ •

(٣٧) الجندى : تاريخ معرة النعمان ، ج ١ ص ١٩٥ — ١٦٠ •

(٣٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٦ ، ابن الفرات : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ص ٦٩ •

(٣٩) العظيمى : تاريخه Jornal Asiatique, p. 382. ، ابو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ص ٢٠٧ •

الباطنى ، فجرحه جرحاً عميقاً ، فحمل الى دار الأتابك طغتكين حيث خيط جرحه ، ولكنه لفظ انفاسه ومات من يومه (عام ٥٠٧هـ / ١١١٣م)[٣١]

وقد ذكر معظم المؤرخون أن مودود قتل بايعاز من طغتكين أتابك دمشق ، قتله لخوفه من استعادة السلاجقة حكم دمشق وبسط سلطانهم عليها ، ضارباً بمصالح المسلمين عرض البحر[٣٢] .

ويبدو أنه كان يوجد فريق من الحكام المسلمين كان من مصلحتهم بقاء الصليبيين فى بلاد الشام ، وعدم اقامة جبهة اسلامية متحـــدة ، وذلك للمحافظة على سلطانهم ونفوذهم ، وقد توصل الى هذه الحقيقة أحد المؤرخين المعاصرين وهو ابن العديم حيث يقول[٣٣] « ان المقدمين ـــ أى حكام البلاد ـــ كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه » ، وهكذا طالمــا استمر الوجود الصليبى ، استمر الضعف والاضطراب ،

---

(٣٠) العظيمى : تاريخه , Jornal Asiatique, p 382.
ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٧١ ، السيوطى : الخلفا ، ص ٦٨٤ ،
برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١١٩

(٣١) ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٣٢) عن المؤرخين الذين أكدوا قتل طغتكين لمودود انظر : ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٦٥ ، ابن الأثـــير : الكـــامل جـ ١٠ ص ١٧١ ، أبو شامه : الروضتين جـ ١ ص ٢٧ ،
william of Tyre : Hist of Deeds, vol I , p 495 - 496.

بينما يرى سبط بن الجوزى أن طغتكين برىء من دم مودود حيث يقول : « ان ماذكره البعض من ان اتابك خاف منه فوضع عليه من قتله ، فليس بصحيح ، فانه كا احب الناس اليه ، وحزن عليه حزناً عظيماً وشق ثوبه وجلس فى عزائه سبعة ايام وتصدق عنه بمال كثير »
(انظر مرآة الزمان (Rec - Hist . or . T3 , p 561)

لكن يبدو ان سبط بن الجوزى قد خدع فيما اظهره طغتكين من حزن واسى على مقتل مودود ، ولم يعلم انها على سبيل المغالطة حتى لا يثير عليه الرأى العام الاسلامى من جهة ، واتقاء غضب السلطان السلجوقى من جهة أخـــرى .

(٣٣) زيدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٧٣ .

واستمر هؤلاء الحكام على « ما هم فيه » من سوء التدبير واستغلال البلاد أسوأ استغلال بحجة الدفاع ومحاربة الصليبيين ، وبالطبع كان المستفيد الوحيد من وراء هذا هم الصليبيين الذين ازدادت قوتهم واتسعت املاكهم .

* * *

أما ما قام به امراء الشام وحكامها المسلمين ، من الاستعانه بالصليبيين ضد جيوش برسق الذى حضر لمحاربة الصليبيين ، لهو خير دليل على ما وصل اليه حال القوى الاسلامية من التمزق والانقسام .

فقد حدث أن امر السلطان السلجوقى برسق بن برسق باستكمال مهمة مودود فى محاربة الصليبيين ببلاد الشام ، وكتب السلطان ايضا الى جيوش الموصل وغيرها بمرافقة برسق فى المسير الى الشام ، ويبدو أن السلطان السلجوقى قصد ايضا من وراء ارسال حملة برسق — بالاضافة الى مقاتلة الصليبيين — معاقبة قتلة مودود[٣٤] .

وما أن شرع برسق فى الزحف صوب بلاد الشام ، حتى تخوف طغتكين كثيرا ، وادرك أنه هو المقصود بهذه الحملة ، ولم يكن بقية امراء الشام مثل حكام حلب وغيرها ، اقل تخوفا من طغتكين ، لذلك ارتموا فى أحضان الصليبيين طالبين محالفتهم والاتفاق معهم ضد جيش برسق بن برسق !!

وهكذا ضل هؤلاء الحكام الطريق ، فبدلا من فرحتهم بقدوم جيش برسق ، والاعتذار عما سلف ، ومؤازرة برسق فى جهاده ضد الصليبيين نجدهم يناصبونه العداء ويتحالفون مع الصليبيين ضده .

وهكذا صارت الأمور فى مصلحة الصليبيين الذين تخوفوا هم كذلك من حملة برسق ، وتحالفوا مع طغتكين واعوانه ضد برسق !!

(٣٤) ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان Rec . Hist . or . T3, p 551. ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٢٠٧ .

فاجتمع طغتكين مع روجر صاحب انطاكيه عند افاميه ، ارتقابا لوصول حملة برسق ، ولحق بهم بعـــد ذلك بلدوين الأول ملك بيت المقدس ، وانضم اليهم حاكم حلب ، وبذلك تكون حلف صليبى يضم حكـــام بيت المقدس وانطاكيه ودمشق وحلب (الأخيرين من القادة المسلمين) ، ضد جيش برسق الذى ما خرج أصلا الا لمحاربة الصليبيين !! •

وعند دانيث — الى الغرب من سرمين — دارت رحى معركة طاحنة بين برسق وجيوش الصليبيين ومن معهم من المسلمين ، هزم فيها جيش برسق وقتل معظم جنده فضلا عن اصابة برسق نفسه بعدة جروح أودت بحياته بعد عدة أشهر عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م [٣٥] • وبذلك انتهت حملة برسق بالفشل ، وبطبيعة الحال كان المستفيد الوحيد هم الصليبيون •

واذا كان حكام الشام قد اعتقدوا أنه بتحالفهم مع الصليبيين ضد برسق انهم أصبحوا بمنأى عن اعتداءات الصليبيين ، فقد خاب اعتقادهم ، فبعد أن تخلص الصليبيين من حملة برسق ، عاودوا هجومهم واعتداءاتهم على المدن الاسلامية ، مثال ذلك ما فعله روجر صاحب انطاكيه عندما أخذ فى مهاجمة حلب ، فلم يكن فى مقدور حكامها الضعفاء الا التنازل له عن بعض أعمالها وقراها اتقاء لشره [٣٦] •

* * *

(٣٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣١٦ ،
Runciman : Hist of the Crsades vol 2 , p 133,
Stevenson : The Crusaders in the East, p 100 - 101.

(٣٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان (Rec . Hist . or . T3 , p 552).

(د) تحالف حكام دمشق مع الصليبيين ضد زنكى

عاشت بلاد الشام فى فوضى شاملة منذ أن وطأت اقدام الصليبيين أرضه ، وأخذ التمزق والتنافس طريقه بين حكامها •• واستمر هـذا الوضع قائماً الى أن تولى عماد الدين زنكى حكم الموصل والجزيرة وحلب • ومنذ البداية نجـد زنكى يؤمن بفكرة اقامة جبهة اسـلامية موحده ، وبهـذه الفكرة بدأ حكمه لتلك البلاد ، وكان من المتوقع ان يصطدم زنكى عند تنفيذ هذه الفكرة بأمراء الشام والجزيرة الراغبين فى العمل منفردين والرافضين لفكرة الوحدة •

واستطاع زنكى فى السنوات الأولى من حكمه توحيد شـمال الشـام وحقق بهذه الوحدة انتصارات فى عـدد من المعارك ضـد الصليبيين ، غير أن حكام دمشق فى جنوب الشام رفضوا تماماً فكرة الوحدة مع زنكى وناصبوه العداء ، ودخلوا معه فى صراع سـياسى وعسكرى ، ولم يترددوا فى التحالف مع الصليبيين ضـده ، وبطبيعة الحال سارع الصليبيون الى تلبية نداء حكام دمشق ومدوا لهم يـد العون والمساعدة فى الوقوف ضد محاولات زنكى لاقامة جبهة اسلامية موحدة ، وقد ادرك الصليبيون جيداً أنه اذا استطاع زنكى توحيد صفوف المسلمين فلن يكون لهم مقام بالشام ، لذلك عموا دائماً على تغذية روح الفرقة والانقسام واثارة المنافسة والصراع بين القوى الاسـلامية •

وانطلاقاً من مفاهيم حكام دمشق الخاطئة ، فقد ناصب بـورى صاحب دمشق زنكى العداء منذ أن بدأ الأخير مشروعه الخاص بتوحيد الجبهة الاسلامية ، وبعد وفاة بورى سـار ابنه اسماعيل على نفس سياسة والده فى معاداة زنكى • [٣٧] • لكن اسماعيل هذا لم يلبث أن عدل عن هذه السياسة لأسباب داخل دمشق ، وأرسل الى زنكى يطلب منه

---

(٣٧) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ٤٦ — ٤٧ .

الحضور على وجه السرعة واستلام دمشق[38] . غير أن والدة اسماعيل الخاتون صفوه الملك زمرد رفضـت ذلك بشدة ، وقبضـت على ابنها اسماعيل وقتلته ونصبت ابنها الصغير شهاب الدين محمود فى حكم دمشق ، وتولى معين الدين انر تدبير أمور دولته[39] .

ونتيجة لتلك الأحـداث توجه زنكى الى دمشق وفرض عليهـا الحصـار ، ثم غادرها بعد ان تدخل الخليفه فى أمـر الصـلح بين الجانبين[40] ، ثم توجه زنكى بعد ذلك الى حمص التى كانت بيـد معين الدين انر انتقاما منه ، وهنا خشى الصليبيون عاقبة استيلاء زنكى على حمص وما يتبعه ذلك من تقوية مركز زنكى فى جنوب الشـام وبذلك يكون خطرا على كياناتهم فى الجنوب ، لذلك وقفوا الى جانب حكام دمشق ، مما اضطر زنكى الى الرحيل عنها[41] .

وقد ادرك زنكى أن ثمة بوادر تحالف بين الصليبين وحكام دمشق ، لذا رأى انه من الأفضل اتباع أسلوب السياسة فى تحقيق الوحدة الاسلامية واتمامها بضم دمشق ، لذلك تزوج من الخاتون صفوة الملك زمرد والدة الأمـير شـهاب الدين بن بورى صـاحب دمشق عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ، ظناً منه انه بهذا الزواج يكون قريباً من دمشق ويسهل بعد ذلك ضمها[42] ، وقد حصل زنكى فى مقابل هذا الزواج على حمص[43] .

---

(٣٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٤٦ ، ابن ايبك : الدره المضيه فى أخبار الدوله الفاطمية ، ص ٥١٨ .

(٣٩) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٨ .

(٤٠) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٥٧ — ٥٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٥٨ .

(٤١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٨ ، العظيمى : تاريخه Jornal Asiatique , p 412.

(٤٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣١ .

(٤٣) ابن القلانسى : ذيـل تاريخ دمشـق ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، العظيمى : تاريخه ، Jornal Asiatique, p 412.

غير أن ما أمله زنكى من وقوع دمشق تحت يده لم يتحقق ، لذلك أخذ يتحين الفرص لأخذها بالقوة ، وجاءت هذه الفرصة عندما قتل شهاب الدين وقبض معين الدين أنر على زمام الأمور بدمشق وولى امرها أخ غير شقيق لشهاب الدين هو جمال الدين محمد بن تاج الملوك بورى صاحب بعلبك ، فحضر جمال الدين هذا الى دمشق وفوض امورها الى معين الدين أنر وأقطعه بعلبك وزوجه من والدته ، فصار أنر هو « الجملة والتفصيل »[٤٤] ، ولم يكن منتظراً أن تسكت زمرد خاتون — والدة شهاب الدين — على هذا العمل ، فأرسلت الى زوجها عماد الدين زنكى وكان بالموصل ، تعلمه بصورة الحال باعثة لهمته فى النهوض بطلب الثأر ؛ وفى نفس الوقت وصل الى زنكى بهرام شاه أخو جمال الدين شاكياً من ظلم أخيه طالباً انصافه[٤٥] • فلم يكن من زنكى الا أن زحف على دمشق وفرض عليها الحصار ، ولما ضاق جمال الدين بحصار زنكى أخذ فى مراسلته فى أمر الصلح ، غير أن القدر لم يمهل جمال الدين لاتمام الصلح ، اذ توفى بعد قليل[٤٦] ، مما دفع زنكى الى تشديد الحصار على دمشق ، فما كان من أنر الا أن راسل ملك بيت المقدس فولك الانجوى واستدعاه لنصرته ، وخوفه من زنكى اذا استولى على دمشق ووعده بمبلغ كبير من المال ، كما وعده بمساعدته فى الاستيلاء على بانياس ، وكانت بانياس لزنكى[٤٧] •

وكان أن اسرع الصليبيون لتنفيذ الاتفاق المعقود بينهم وبين حاكم

---

(٤٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣١ ، حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، ص ٤٢ •

(٤٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٩ ، ابو المحاسن : النجوم ، ج ٥ ص ٢٦١ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٩٦

(٤٦) كان جمال الدين قد رفض من قبل عروض زنكى فى تسليم دمشق لكنه عاد وقبلها بعد ذلك • وعن تفاصيل ذلك انظر : ابن الوردى : تاريخه ص ١٣٥ •

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣٤ ، حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، ص ٣٩ •

دمشق أنر ، وحضروا الى بانياس لأخذها ، وعندما علم بذلك زنكى توجه الى بانياس لمنعها من السقوط فى يد الصليبيين ، لكن كان وصوله بعد سقوطها فى يد الصليبيين ، مما دفعه الى العودة الى دمشق ومحاصرتها ، لكنه لم يفز منها بطائل(٤٨) .

وعلى هذا النحو كان التدهور والتفكك ببلاد الشام ، فاذا كان زنكى قد استهدف من وراء ضمه لدمشق توحيد الجبهة الاسـلامية ، وسد كافة الثغرات امام الصليبيين ، حتى يكون من السهل عليه بعـد ذلك طردهم من بلاد الشام ، فان حكام دمشق رفضوا تلك الوحـدة ، وفضلوا التحالف مع الصليبيين ، وفى الحقيقة لم يكن تحالف بمعنى الكلمة ، وانما كان وصاية للصليبيين على دمشق . وهكذا كانت الخسارة فـادحه .

* * *

(٤٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٨٩ .

(د) دبيس بن صدقه والتمزق الداخلى

ان الدور الذى لعبه دبيس بن صدقه يوضح لنا مدى ما وصل اليه حال المسلمين فى تلك الفترة من فرقة وانقســام ، وكيف تحالفوا مع الصليبيين طمعاً فى تحقيق اطماعهم الشخصية .

أما دبيس هذا فكان والده صدقه بن مزيد صاحب الحله والبصره وواسط ، وهو من أصل عربى شيعى[٤٩] ، ثم توطدت علاقته بالسلطان محمد بن ملكشاه (٤٩٨ — ٥١١ هـ / ١١٠٤ — ١١١٧ م) . ووقف الى جانبه فى صراعه ضد أخيه السلطان بركياروق ، غير أن السلطان محمد خشى من اتساع نفوذ صــدقه ، لذا أخذ يضيق عليه الخناق ، مما أدى الى حــدوث الخلاف بين الرجلين ، وفشــلت كل الجهود فى التوفيق بينهما ، وانتهى الأمر بأن سير السلطان محمد جيوشه لمحاربة صدقه الذى قتل فى المعركة عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م . ويذكر ابن الاثير أنه قتل مع صدقه فى تلك المعركة عدد كبير من العرب ، بالاضافة الى أسر ما يقرب من ثلاثة آلاف فارس كان من بينهم ابنه دبيس ، غير أن السلطان محمد أفرج عن دبيس بن صدقه وأعاده الى الحله ليحل محل والده فى حكمهــا[٥٠] .

وقد ورث دبيس بن صدقه عن أبيه عداءه للسلاجقه ، كذلك ناصب الخلافة العباسية العداء ، ويشير بعض الباحثين الى ان عداءه للعباسيين

---

(٤٩) ابن الاثير : ج ١٠ ص ١٤٤ — ١٤٥ .
توجد بعض الآراء التى تحاول الصاق دبيس ووالده صدقه بالباطنية ، لكن مؤرخى هذه الفترة نفوا هذه التهمة عنهم . (راجع ابن الاثير ، ج ١٠ ص ١٦٩) فى حين كان جد دبيس موالياً للفاطميين ومتحالفاً معهم (انظر : ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٦ أ) .

(٥٠) وقد أشاد ابن الاثير فى مدح صدقه والد دبيس وقــال عنــه « لقد كان من محاسن الدنيا » .
انظر الكامل ، ج ١٠ ص ١٦٥ ، ١٦٩ .

انما كان مبعثه تشيعه فى حين كانت الخلافة العباسية سنيه[٥١] ، كما أن ما وصلت اليه الدولة العباسية من تفكك شجع دبيس على مواصلة هجماته على بغداد ، وسلب ونهب ما يصل اليه يديه[٥٢] . كذلك قام دبيس بتهديد طريق الحج « حتى بطل الحج فى سنة (٥١٦ هـ) خوفا »[٥٣] ، كما أنه بعث أحد رجال الخليفة — وكان فى أسره — ومعه رسالة الى الخليفة مليئة بالتهديد وتخريب بغداد وحرقها[٥٤] . ويبدو أن تصرفات دبيس هذه كانت بدافع الانتقام لما حل بأخيه بدران من تكحيل عينيه على يد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه[٥٥] .

ونتيجة تصرفات وافعال دبيس هذه تجهز الخليفة المسترشد بالله لمحاربته عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م[٥٦] ، ويذكر ابن ابى الدم الحموى ان الخليفة « خرج لابسا قباء أسود وعمامه وبردة النبى ﷺ على كتفه وطرح على رأسه طرحه وتهىء دبيس للقتال وهو بالحله ، فالتقى الجمعان ، وكان فى عسكر دبيس البغايا والمخانيث والملاهى يضرب بها ، ولا يسمع فى عسكر المسترشد الا قراءة القرآن والتسبيح »[٥٧] . وأسفرت تلك المعركة التى دارت بالمباركه — بين الكوفه وبغداد — عن هزيمة ساحقة لجيش دبيس ونهب الحله[٥٨] .

---

(٥١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٣٤ .
ويستفاد مما اورده المؤيد فى الدين انه كانت توجد علاقة طيبة ربطت الخلافة الفاطمية بابن مزيد وقلده وخلع عليه الخليفه الفاطمى . راجع : السيرة المؤيدية ص ١٢٧ — ١٢٨

(٥٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٣١ .

(٥٣) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٤ أ .

(٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٩ ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، حسن محمود : العالم الاسلامى ، ص ٦٢٩ .

(٥٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٣١ .

(٥٦) استعان الخليفة فى محاربة دبيس بجيوش آقسنقر البرسقى اتابك الموصل ، كما اشترك عماد الدين زنكى الذى كان واليا على مدينة البصرة .
راجع ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٣١ ، الباهر ص ٤٥ .

(٥٧) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقة ١٩٤ .

(٥٨) ابن ابى الدم : المصدر السابق ، ورقه ٩٤ أ .

ولجأ دبيس بعد هـذه الهزيمة الى الملك طغرل بن السلطان محمد أخو السلطان محمود ، وذلك لوجود عداء بين طغرل هذا وبين السلطان محمود ، وأشار عليه بمهاجمة بغداد ، وقد وافقه طغرل على ذلك . ففى العام التالى (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) اتجه دبيس وبصحبته طغرل الى بغداد وعزم على مهاجمتها ، فخرج اليهما المسترشد على رأس الجند ، فرأى دبيس ضرورة مصالحة الخليفة ، واجتمع به ، « وقبل الأرض بين يدى المسترشد ، وقال العبد المطرود المذنب ماآن ان يعفى عنه » ، فرق الخليفة لحاله وكاد يعفو عنه ، لولا تدخل وزيره نظام الدين احمد ابن نظام الملك الذى أوعز الى الخليفة بعدم العفو عن دبيس ، مما دفع دبيس الى الانصراف غاضباً(٥٩) .

واتجه دبيس بن صدقه بعد ذلك للعمل فى ميدان آخر هو شمال الشام حيث شارك فى أحداثه مع كل من الأتابكه والصليبيين(٦٠) .

***

وكان الصراع الدائر رحاه فى ذلك الحين بين بعض القيادات الاسلامية بشمال الشام وبين الصليبيين ، خاصة بين بلك بن بهرام الارتقى صاحب خرتبرت وبين بلدوين الثانى ملك بيت المقدس والوصى على انطاكيه ، وقد وقع الأخير فى أسر بلك عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ، واستمر بلدوين أسيرا لدى بلك حتى وفاة بلك ، فأطلق تمرتاش ابن أخى بلك سراحه فى مقابل فديه مالية كبيرة واعادة بعض الاقاليم الاسلامية التى كانت بيد الصليبيين مثل عزاز والأثارب وزردنا وكفر طاب(٦١) .

---

(٥٩) ابن ابى الدم : المصدر السابق ، ورقه ٩٤ أ .

(٦٠) يشير ابن الاثير الى أن دبيس « الحتفى خبره بعد ذلك وارجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره » .
راجع الكامل ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(٦١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٠٩ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٢١ ، ابن ايبك : الدره المضيه ، ص ٤٩٤ .

ولم يكن فى مقدرة بلدوين تنفيذ ذلك الاتفاق ، سواء دفع الأموال أو اعادة الأملاك الاسلامية ، لذلك خشى من اغارة تمرتاش عليه ، فعمل على تكوين حلف ضده • وهنا ظهر دور دبيس بن صدقه الذى لم يتأخر فى الانضمام الى ذلك الحلف الصليبى مؤيداً بلدوين ضد تمرتاش صاحب ماردين وحلب ، ويبدو أنه اشترك فى هذا الحلف نتيجة طمعه فى الاستيلاء على حلب بمساعدة الصليبيين ، ويتضح هذا من مخاطبته بلدوين متحدثا عن حلب « ان أهلها شيعة وهم يميلون الى لأجل المذهب ، فمتى رأونى سلموا البلد الى ••• واننى اكون هاهنا ــ يقصد حلب ــ نائباً عنكم ومطيعاً لكم »(٦٢) •

وهكذا اشترك دبيس فى الحلف الصليبى ضد الجيوش الاسلامية ، وذلك طمعاً فى تحقيق مطمع خاص ، واضعاً نفسه تحت طاعة وخدمة الصليبيين !! ومن يدرى هل كان بلدوين الثانى سيسلمه حلب اذا استولى عليها كما توقع دبيس ام لا ؟ ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الصليبيين استخدموا المسلمين أنفسهم فى تصفية اخوانهم المسلمين ، سواء كانوا عرباً ام تركاً ام سنة ام شيعه ، وبالطبع اينما تكون النتيجة فهى فى صالحهم(٦٣) •

ولم يكن دبيس بن صدقه هو وحده من المسلمين الذى اشترك مع بلدوين الثانى ، وانما انضم ايضاً الى ذلك الحلف سلطانشاه ابن الملك رضوان الذى اعتبر تمرتاش مغتصباً لحقه فى حكم حلب(٦٤) •

وبالفعل تقدم بلدوين الثانى عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م وبصحبته دبيس بن صدقه وسلطانشاه صوب حلب وفرضوا عليها الحصـــار

---

(٦٢) ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ص ٢٢١ ، ابن ايبك : الدره المضيه ، ص ٤٩٤ •

(٦٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٢٤ •

(٦٤) العظيمى : تاريخه Jornal Asiatique, p 393.
حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، ص ٢١ •

« وبنوا البيوت بظاهرها من أجل حمايتهم من البرد والحر » ، وأرسل أهل حلب مستنجدين بتمرتاش الذى كان مشغولا بأمر ماردين[٦٥] ، فلم يلب ندائهم ، مما دفعهم الى الاستنجاد بآق سنقر البرسقى صاحب الموصـــل[٦٦] ، الذى لبى النداء وحضر على الفور ، فخشى بلدوين وحلفائه الدخول فى حرب مع البرسقى ، رفعوا الحصار عن حلب[٦٧] .

واذا كان تحالف دبيس بن صدقه مع بلدوين قد باء بالفشل فى هذه المرة ولم يستطع تحقيق احلامه فى امتلاك حلب ، فانه أخـــذ بعد ذلك يبحث لنفسه عن حلفاء آخرين يساعدونه فى تحقيق أطماعه .

*** * ***

واستمر دبيس بن صدقه يعبث فى شمال الشام من أجل تحقيق اطماع شخصية الى أن قبض عليـــه فى بعض أعمال دمشـــق ، فحمل الى صاحب دمشق الذى باعه الى عماد الدين زنكى صاحب الموصـــل والشام بخمسين الف دينار ، واعتقد دبيس ان زنكى سيقتله ، لـــا كان بينهما من عداء ، غير أن زنكى لم يفعل ذلك ، وانما على العكس من ذلك وكما يروى ابن ابى الدم الحموى[٦٨] « أكرمه وعظمه وخوله المـــال والرجال والسلاح حتى قدمه على نفسه » ، كما أن زنكى رفض تسليمه الى الخليفة المسترشد الذى أرسل الى زنكى يطلبه لمعاقبته على خروجه عن طاعته[٦٩] .

---

(٦٥) سبط بن العجمى : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، ورقه ٥١ (مخطوط) .

(٦٦) ابن القلانسى : ذيـــل تاريخ دمشـــق ، ص ٢١١ — ٢١٢ ، ابن ايبك : الدره المضيه ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٥ ورقه ٢٦ (مخطوط) .

(٦٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٢٢ ، ابن العديم : بغية الطلب Rec . Hist . or . T3 , p 718. ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ورقه ٥١ (مخطوط) .

(٦٨) التاريخ المظفرى ، ورقة ١٩٥ (مخطوط) .

(٦٩) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ١٩٥ أ (مخطوط) .

ويبدو أن زنكى رأى انه من الأصلح ضم دبيس الى جانبه ، لتوحيد كلمة المسلمين ، والاستفادة بخبرته العسكرية فى محاربة الصليبيين ، خاصة وأن زنكى فى تلك المرحلة كان بصدد تكوين جبهة اسلامية موحدة ، ضد العدوان الصليبى ، وقد وجد زنكى فى دبيس قوة تساعده فى تحقيق ذلك ، خاصة وانه كان لدى دبيس مجموعة من الأتباع والرجال الذين يجيدون فن القتال ويعرفون أسرار الطرق والمسالك ببلاد الشام ، لذلك فضل زنكى ضم دبيس الى جانبه ، ونجح فى ذلك ، وهذا الأمر — أى ضم دبيس والاستفادة به بدلا من عدوانه — لم يستطع الخليفة المسترشد تحقيقه نتيجة موقف وزيره نظام الدين ابن نظام الملك المعادى لدبيس بن صدقه •

وقد اثبتت الأحداث التاريخية بعد ذلك أن دبيساً ظل حليفاً مخلصا لزنكى ، وقام بمساعدته فى معاركه وحروبه ، حتى مقتله عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م على يد السلطان مسعود السلجوقى (٥٢٧ — ٥٤٧ هـ / ١١٣٢ — ١١٥٢ م) انتقاماً منه لاخلاصه لزنكى(٧٠) •

* * *

---

(٧٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٠ — ١١ •

(و) تنافس الامراء بحلب عقب وفاة نور الدين محمود

بوفاة السلطان نور الدين محمود عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ، دخلت دولته فى اضطراب وفوضى شاملة ، بعد أن كافح نور الدين ومن قبله والده عماد الدين فى توحيد صفوفها من أجل الصمود فى وجه الصليبيين • وكان السبب وراء هذا الاضطراب هو ظهور المنافسة بين الامراء من اجل الاستيلاء على السلطة •

فبعد وفاة نور الدين ، خلفه فى الحكم ولده الملك الصالح اسماعيل (٥٦٠ ــ ٥٧٦ هـ / ١١٧٣ ــ ١١٧٨ م) ، وكان عمره حينئذ احدى عشر عاما ، وقد ساعد صغر سن الصالح على قيام التنافس والصراع بين الامراء للانفراد بالسلطة ، وكان اقطاب المتصارعين هم الامير شمس الدين على بن محمد بن الدايه ، والأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، والقاضى ابى الفضل بن الخشاب قاضى حلب ، وبقيام الفتنة بينهم أنحاز الشيعه الى جانب ابن الدايه ، فى حين وقف السنه بجوار القاضى ابن الخشاب ، وهكذا انقسم المسلمون فيما بينهم : مما كان مؤذناً بتفكك وانقسام دولة نور الدين محمود ، ثم ظهر منافس آخر وهو سيف الدين غازى بن قطب الدين ابن عم نور الدين محمود ، الذى انتهز فرصة وفاة ابن عمه واستولى على البلاد الجزرية(٧١) •

وقد أحضر ابن الدايه الملك الصالح الى حلب بدلا من اقامته بدمشق ، وذلك حتى يكون تحت يده من جهة ، وليتقوى به من جهة أخرى فى الاستيلاء على السلطة(٧٢) •

---

(٧١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٨٢ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٣٨ ، ابن العديم : بغية الطلب Rec. Hist . or , T3 ، p 697, ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ورقه ٢١ (مخطوط) •

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٨٣ •

وخلال تلك الفوضى التى عمت بلاد الشام عقب وفاة نور الدين ظهر دور الصليبيين ، الذين انتهزوا الفرصة وعملوا على الاستيلاء على بعض الممتلكات الاسلامية ، من ذلك ما قام به عمورى الأول ملك بيت المقدس من الاغاره على بانياس بقصد الاستيلاء عليها ، ولم يكن لدى ابن المقدم الذى تولى الاشراف فى ذلك الحين على حكم دمشق ، من القوة ما يساعده على الدخول فى حرب ضد عمورى ، فدفع له قدر من المال حتى يبعده عن بانياس(٧٣) . وهكذا كان المستفيد من وراء انقسام الدولة الاسلامية هم الصليبيون .

وفى تلك الاثناء كان الأمير سعد الدين كمشتكين قد قبض على ابن الدايه وحبسه بقلعة حلب ، واستبد بأمور حلب ، مما أدى الى تخوف ابن المقدم منه(٧٤) ، لذا رأى ابن المقدم أن من مصلحته أن يرسل الى صلاح الدين الأيوبى ليحضر من مصر ، ويسلمه دمشق ، بدلا من وقوعها فى يد سعد الدين كمشتكين(٧٥) .

وكان صلاح الدين فى ذلك الحين يتولى أمور مصر ، وقد استاء كثيرا بعد سماعه بالفوضى والاضطراب التى عمت مملكة نور الدين بعد وفاته ، كما غضب لما فعله الصليبيون بالبلدان الاسلامية واغاراتهم المتتالية عليها ، وقرر التوجه الى الشام لمعاقبة هؤلاء الامراء الذين فرطوا فى دولة نور الدين ، وليضع حداً لهجمات الصليبيين على الممتلكات الاسلامية ، ولاعادة توحيد الجبهة الاسلامية(٧٦) .

---

(٧٣) أبو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٣١ .

(٧٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٨ ، ابن العديم : بغية الطلب Rec . Hist. or . T3 , p 698. .

(٧٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ص ١٨٧ — ١٨٨ ، ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، ورقه ٢١ (مخطوط) .

(٧٦) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ص ١٨٢ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، ورقه ٢١ (مخطوط) .

واتجه صلاح الدين الى الشام ، ووصل الى دمشق ، فخرج اهلها لاستقباله فرحين بقدومه ، ودخلها ، وسلم ابن المقدم قلعتها له ، ومن الملاحظ أن الصليبيين عندما علموا بخروج صلاح الدين الى الشام ، خشوا عاقبه ذلك عليهم ، ووضعوا العراقيل فى طريقه الى الشـــام وقاموا بمضايقته حتى يعود ثانية الى مصر ، غير أن صلاح الدين لم يأبه بمثل تلك المضايقات والعراقيل وواصل سيره الى ان وصل الى دمشق[٧٧] .

وبوصول صلاح الدين الى دمشق تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الشام فى تلك الفترة ، وهى مرحلة اتسمت بمحاولات اعادة توحيد الجبهة الاسلامية مرة أخرى ، واعادة لم شمل لدولة نور الدين ، وكان صلاح الدين فى ذلك الحين متمسكاً بالبيت الزنكى وبالملك الصـــالح اسماعيل بن نور الدين محمود ، وأظهر فى مناسبات عديدة انه لم يحضر الى الشام الا لخدمة الملك الصالح والوقوف الى جواره ضد اعداء الدولة الزنكية سواء من الأمراء الطامعين فى السلطة أو ضد الصليبيين .

غير أن سعد الدين كمشتكين ومن ورائه جماعة الأمراء الحلبيين خشوا من ضياع سلطانهم ونفوذهم اذا أعيدت الجبهة الاسلامية الى سابق وحدتها ، لذلك فضلوا الانفراد بحكم حلب ، وناصبوا صلاح الدين العـــداء[٧٨] .

واستمر الصراع بين صـــلاح الدين وبين الحلبيين الرافضـــين الانضمام للوحدة الاسلامية ما بين عامى ٥٧٠ هـ — ٥٧٩ هـ / ١١٧٤ — ١١٨٣ م ، أى ما يقرب من تسعة اعوام ، وخلال هذا الصراع استعان الحلبيون بكل من الصليبيين والباطنيه ، مما يدل على مدى تخبط هؤلاء الأمراء[٧٩] .

---

(٧٧) ابن العديم : بغية الطلب ، Rec . Hist . or T3 p 699.
ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب ، ورقه ٢١ (مخطوط) .
(٧٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ص ١٨٩ ، ابن شداد : ســـيرة صلاح الدين ، ص ٣٩ .
(٧٩) عن تفاصيل هذا الصراع انظر : حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، ص ٧٩ — ٨٨

والحقيقة أن الصليبيين والباطنيه خشوا من اعادة توحيد الجبهة الاسلامية مرة أخرى على يد صـــلاح الدين ، لذلك وقفوا الى جانب الحلبيين فى معارضتهم لهذه الوحدة ، ويظهر ذلك واضحا فى وقوف ريموند الى جانب الحلبيين ، وفى محاولات الباطنيه المتكرره لاغتيـــال صلاح الدين ٠

غير أن صلاح الدين استطاع فى النهاية الانتصـــار على هؤلاء الخارجين وضم حلب الى الجبهة الاسلامية عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وبذلك أصبح فى مقدوره بعد أن اتم توحيد الجبهة الاسلامية ، منازلة الصليبيين والحاق الهزيمة بهم ٠



(ز) موقف أتابكه الموصل من صلاح الدين

أدرك أتابكة الموصل — من بقايا البيت الزنكى — خطورة قيام صلاح الدين الأيوبى بتوحيد الجبهة الاسلامية عليهم ، خاصة وانهم انتهزوا فرصة وفاة نور الدين واستقلوا بما تحت ايديهم من أملاك . لذلك اتخذوا منه موقفاً عدائياً واستمرت الموصل خارجه عن صفوف الوحدة الاسلامية منذ عام ٥٧٠ ه الى عام ٥٨١ ه (١١٧٤ — ١١٨٥ م) .

والمعروف أن سيف الدين غازى الثانى أتابك الموصل قد اغتنم فرصة وفاة نور الدين محمود واستولى على حران ونصيبين والرها وسروج والرقه ، محاولا الاستقلال بتلك الممتلكات . وهكذا بدأ التفكك والانقسام يعم كل دولة نور الدين محمود[٨٠] .

وعندما خرج صلاح الدين الأيوبى من مصر متجها صوب الشام من أجل اعادة توحيد دولة نور الدين ، رأى سيف الدين غازى ضرورة الاعتماد على قوى أخرى للوقوف امام صلاح الدين ، فتحالف مع الخارجين على صلاح الدين بحلب ، ومعنى ذلك أن المواصلة والحلبيين كونوا جبهة ضد محاولات صلاح الدين فى توحيد الجبهة الاسلامية[٨١] .

وفى محاولة من صلاح الدين لاثارة المتاعب فى وجه سيف الدين غازى ، أطمع أخيه الاكبر عماد الدين زنكى[٨٢] فى حكم الموصل ، باعتباره الوارث الشرعى لأتابكة الموصل بعد أبيه ، وقد استحسن عماد الدين زنكى هذه الفكرة وخرج على أخيه سيف الدين[٨٣] .

---

(٨٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ص ٤٠٧ ؛ أبن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٦ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٥٩٥ .

(٨١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٥٠ ، رشيد الجميلى : دولة الاتابكه فى الموصل ، ص ١١٧ — ١١٨ .

(٨٢) كان عماد الدين زنكى يتولى حكم سنجار .

(٨٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ص ٤٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٣٠ ، ابن الوردى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٨٤ .

غير أن سيف الدين غازى لم يبال بخروج أخيه عماد الدين ووجه اليه جيشاً لمحاربته ، وفى نفس الوقت أرسل أخاه عز الدين مسعود على رأس جيشـــاً آخــراً لمســاندة الحلبيــين فى الوقوف أمــام صلاح الدين(٨٤) •

وفى نفس الوقت لم يتردد أتابكه الموصل فى الاستعانة بالصليبيين للوقوف ضد محاوله صلاح الدين فى لم شمل الدولة الاسلامية ، خاصة بعد هزيمة جيوشهم امام صلاح الدين فى موقعه قرون حماه عــام ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م ، حيث ارسل سيف الدين غازى الى ريموند الثالث يطلب معونته ومؤازرته • ويبدو أن صلاح الدين أدرك مسبقا ما سيقوم به حكام الموصل من الاستعانة بالصليبيين ، لذلك سارع بعقد اتفــاق مع ريموند ، تعهد ريموند بمقتضاه بعدم الاعتداء على صلاح الدين فى مقابل تسليم صلاح الدين للأسرى الصليبيين الذين كانوا عنده ، ونتيجة ذلك الاتفــاق رفض ريموند طلب سيف الدين غازى ولم يوافق على مساعدته ضد صلاح الدين(٨٥) ، ويبدو أن ريموند خشى ايضاً من عاقبة نقضه للاتفاق المعقود مع صلاح الدين ، وما سيتبع هــذا من وقوعه فى عداء مع صلاح الدين •

وباستمرار الصراع بين اتابكة الموصل وصلاح الدين ، عاود هؤلاء الاتابكة مراسلة الصليبيين مرة آخرى عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م من أجل الاستعانة بهم ضد صلاح الدين ، ويحرضهم على مهاجمة أملاكه ، حتى يشتت قواه ويبعده عن الموصل(٨٦) •

غير أن صلاح الدين رغم كل المحاولات التى بذلها أتابكة الموصــل فى عرقلة جهوده الرامية الى توحيد الجبهة الاسلامية ، استطاع ضم

(٨٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ص ٩٤ ، الاصفهانى : سنا البرق الشامى ص ٩٤ — ٩٧ •
(٨٥) رشيد الجميلى : دولة الاتابكه فى الموصل ، جـ ١٢٢ .،
(٨٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ٢ ص ٩٤ — ٩٥ ،

الموصل الى الجبهة الاسلامية عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ، وأصبح عز الدين مسعود تائباً لصلاح الدين بالموصـــل[٨٧] . وبذلك يكون صلاح الدين استطاع اعادة توحيد الجبهة الاسلامية ، ومن ثم أصـــبح فى مقدوره منازلة الصليبيين .

ولا شك فى أن خروج كل من الحلبيين والمواصلة على صلاح الدين ، ومناصبتهم العداء له فترة طويلة امتد حوالى تســـعة اعوام بالنسبة الحلبيين واحدى عشر عاماً بالنسبة للمواصلة ، قد أعاق صلاح الدين فى محاربة الصلبيين ، وكان ذلك بطبيعة الحال فى صالح الصليبيين .

* * *

---

(٨٧) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٧٠ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٥١٧ ، ابو الفدا : المختصر ، ج ٣ ص ٧٣ .

ومن الملاحظ ان القاضى بهاء الدين بن شـــداد هو الذى قام باقرار الصلح بين صلاح الدين وعز الدين مسعود .

الفصل الخامس

الباطنيه وتمزيق الدولة الاسلامية

(أ) طبيعة الدعوة الاسماعيلية ·

(ب) دور الباطنية بالعراق وفارس ·

(جـ) امتداد نشاط الباطنيه الى الشام ·

(د) تحالف الباطنيه مع الصليبيين ·

الفصـــل الخامس

الباطنيه وتمزيق الدولة الاسلامية

(أ) طبيعة الدعوة الاسماعيلية

الباطنيه أو الاسماعيلية ، احدى فرق الشيعه ، وهم ينتسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق وهو الامام السابع عندهم ولذلك اطلق عليهم ايضاً اسم السبعيه •

وأهم ما يقوم عليه المذهب الاسماعيلى هو ايمانهم بأن للعقيدة ظاهراً وباطناً ، وللتنزيل معان ظاهره يعرفها الناس وأخرى باطنه يعرفها الامام ولذلك سموا بالباطنيه[1] • وقد اتخذ هؤلاء الباطنيه التفسير وسيلة لنشر مبادئهم ولجأوا الى التاويل ، كذلك فهم يؤكدون على ضرورة وجود الامام[2] ، ويقولون « من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية »[3] •

وقد اتخذ الباطنيه الاغتيال وسيلة لهم فى التخلص من اعدائهم ، وكان يقوم بعملية الاغتيال فئة الفداوية ، أصحاب الخناجر المسمومة ، وأصبح الاغتيال بالخنجر عند الباطنيه فناً قائماً بذاته[4] •

---

(١) عن آراء الباطنيه ومذهبهم انظر :
الغزالى : فضائح الباطنيه ص ١١ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١١٦ — ١١٧ ، ١١٩ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ص ٢٦٨ — ٢٧٤ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٣٦ وما بعدها ، حسن محمود : العالم الاسلامى ص ٦٠٢.

(٢) يقول الغزالى : وانما لقبوا بها لدعواهم ان لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر .. فضائح الباطنيه ص ١١ برنارد لويس : اصول الاسماعيلية ص ١٤٧ — ١٤٨ •

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ص ١٩٢ •

(٤) انظر الغزالى : فضائح الباطنيه ، يذكر ابن الفرات « ان الاسماعيلية يقال لهم الفداوية » ، تاريخ الامم والملوك ص ١٥٣ — ٢٥٤ تحقيق حسن الشماع حوادث سنة ٦٠٠ — ٦١٥ هـ

ويفهم مما ذكره المؤرخون والرحالة ان داعى دعاة الباطنيه — شيخ الجبل — بألموت أنشأ حديقة غناء بها كل مالذ وطاب ، وحاول أن ينشأ بها بعض ما وصفت به الجنة من نخيل واعناب وفاكهة وغير ذلك ... ، وبعد أن يتسامر داعى الدعاة مع الفتيه الفداوية المناط بهم امر اغتيال شخص معين ، يسقونهم مشروب الحشيش الى ان يتم تخديرهم ، ثم ينقلونهم الى تلك الحديقة ، وهناك يفيقون فيجدون أنفسهم بين حدائق وفاكهة وبنات حور العيون ، وبعد أن يقضوا بعض الوقت ينعمون بما بها من نعيم يتم تخديرهم مرة أخرى ثم ينقلون الى حضرة داعى الدعاة الذى يسألهم اين كانوا فيجيبون انهم كانوا بالجنة ويقصون عليه ما شاهدوه من نعيمها ، وهنا يقول لهم اذا اردتم أن تنعموا بتلك الجنة مرة أخرى عليكم بقتل فلان ، ويحدد لهم الشخص المراد قتله ، فلا يتردد هؤلاء الفتيه فى تنفيذ ذلك طمعاً فى العودة الى الجنة التى أحسوا بنعيمها(٥) ، ومن الملاحظ انه نسبة الى مادة الحشيش التى يتم تخديرهم بها لذا اطلق عليهم اسم الحشاشين أو الحشيشيه(٦) .

* * *

(٥) ومن ناحية أخرى أشار جوانفيل فى مذكراته أن هذه الطائفة كانوا لا يعبأون بالموت وذلك لايمانهم بأن الشخص اذ ما ت فى سبيل سيده — شيخ الجبل — أو لأى سبب آخر ، حلت روحه فى جسد شخص آخر وهى اكثر راحة واطمئنانا .

راجع مذكرات جوانفيل : القديس لويس ، ص ١٢٥ .

(٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٥٣٨ — ٥٣٩ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ،
Marco - polo : Traveles , 49 - 50.

وانظر الفصل الخاص بالاسماعيلية الحشاشين الذى كتبه برنارد لويس فى كتاب Settor : Hist of the Crusades, vol I, p. 94 - 135.
وقد لقبت طائفة الاسماعيلية بعدة القاب أوردها الغزالى كما يلى : الباطنية — القرامطة — الاسماعيلية — السبعيه — المحمره — التعليمية — راجع : فضائح الباطنيه ص ١١ — ١٧ . وعن القابهم ايضا انظر الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ ١ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(ب) دور الباطنية بالعراق وفارس

وقد وجدت الدعوة الباطنيه أو الاسماعيلية طريقها الى فارس والعراق فى بداية الأمر كامتداد للدعوة الفاطمية ، على يد داعى دعاة الفاطميين المؤيد فى الدين الشيرازى ، الذى قام بدور هام فى نشر الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى فى بلاد العراق ، واعتمد فى ذلك على تأييد السلطان ابو كاليجار البويهى الشيعى الذى كان ميالا للفاطميين(٧) ، وعندما ناصبهم الوزير نظام الملك العداء لم يترددوا فى التخلص منه عن طريق القتل عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م • ويذكر ابن خلكان(٨) أن نظام الملك قتل فى شهر رمضان بعد تناوله طعام الافطار واثناء خروجه لزيارة أهله ، حيث اعترضه صبى ديلمى من الباطنيه ، اظهر أن معه ظلامه ، فلما مد نظام الملك يده لتناولها طعنه الصبى بسكين فى قلبه ، فسقط فاقد الوعى ، وتوفى بعد أن وصل الى خيمته ، فى حين قبض رجال نظام الملك على القاتل وقتلوه(٩) •

ولا شك فى أن قتل نظام الملك قد عاد بعواقب وخيمةعلى الدولة الاسلامية ، خاصة وأن نظام الملك كان له جهوداً كبيرة فى تنظيم الدولة وترتيب امورها ، ويكفى لنظام الملك فخراً انه صاحب فكرة تأسيس المدارس ونشرها ، ويشير ابن ابى الدم (١٠) الى النتائج التى ترتبت

---

(٧) المؤيد فى الدين : السيرة المؤيدية ، ص ٤ ، ١٣ ، احمد كمال الدين حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ص ١٦٧ — ١٨٧ •

(٨) وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٣٩٨ •

(٩) توجد عدة آراء فى قتل نظام الملك منها أن السلطان ملكشاه دس له من قتله لعداوة نشأت بينهما ، ومنها ايضا ان تركان خاتون زوجة ملكشاه حقدت عليه لانه كان يميل الى تولية بركياروق العهد — وهو ابن ضرتها — بدلا من ابنها الصغير محمد

انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٧٥ — ٧٦ •

(١٠) التاريخ المظفرى ، ورقه ٩١ •

على قتل نظام الملك بقوله « ولما قتل نظام الملك تشوشت امور السلطان ملكشـاه ، واختلت الأحوال ؛ فطاح العـدل ، وأنطفأت أنوار العلم ، ودرست معالم الفضل ، ولم يبق منها الا الرسوم » •

وكان أول دعاة الباطنيه بفارس والعراق احمـد بن عبـد الملك ابن عطـاش الذى قدمه الباطنيـه عليهم وألبسـوه تاجاً وجمعوا له الأموال[١١] • وبعد وفاته عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م حل محله الحسن ابن الصباح ، وقد نشأ الحسن بن الصباح بالرى وتأثر فى شبابه بالدعوة الاسماعيلية ، وطاف بالبلاد وعاش بمصر حوالى عام ونصف العام والتقى بالخليفة المستنصر عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م ، وسأل المستنصر من الامام بعدك ؟ فأخبره أن الامام بعده ابنه نزار ، ثم كان أن عاد الحسن الصباح الى فارس وأخذ يدعو لنزار ، وشاءت الظروف أن يحدث نزاع حول ولاية العهد بين ابنى المستنصر نزار والمستعلى ، وانقسم الاسماعيلية الى فريقين ، فريق يناصر نزار والآخر يناصر المستعلى ، ولم يتمكن نزار من الوصول الى العرش وهزم وأسر ومات فى الأسر • غير أن الحسن الصباح رفض بيعة المستعلى واستمر يدعو لنزار مكوناً طائفة النزارية[١٢] •

وقد اتخذ الحسن الصباح قلعة ألموت قرب قزوين معقلا للباطنيه عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٧ م ، كما أنه نظم الدعوة الباطنيه الى عدة مراتب وفق تنظيم دقيق ، وكانت اهـم مرتبة فى هـذا التنظيم هى مرتبـة الفداويه ــ الفدائيين ، وهم الذين يضحون بأنفسهم فداء رئيسهم ، وطمعاً فى الخلود بالجنة ، وأصبحوا الأداه التى استخدامها دعاة الباطنيه فى التخلص من اعدائهم[١٣] •

---

(١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٥٣٦ •

(١٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١١٧ ــ ١١٨ •

(١٣) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ص ٢٧١ ــ ٢٧٣ •

وهكذا أصبح الاغتيال هو الوسيلة المشروعة عند الباطنيه لتنفيذ خططهم واعمالهم ، وقد اثار هـذا العمل الرعب والخوف فى نفوس اهالى فارس والعراق ويشير المؤرخون الى « انه كثر امر الباطنيه بالعراق وقتلهم الناس ، واشتد الخطب بهم ، حتى كان الامراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم »[١٤] .

* * *

(١٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٨١ .

(ج) امتداد نشاط الباطنيه الى الشام

ثم امتد نشاط الباطنيه الى بلاد الشام منذ ايام الملك رضوان ابن تتش صاحب حلب (٤٨٨ — ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ — ١١١٣ م)[(١٥)] ، حيث « استمال رضوان الى الباطنيه الحكيم المنجم الباطنى ، وظهر مذهبهم فى حلب ، وشايعهم رضوان ، وحفظ جانبهم ، وصارت لهم بحلب الجاه العظيم والقدرة الزائدة ، وصارت لهم دار الدعوة بحلب فى ايامه »[(١٦)] . ويعتبر رضوان هو أول من أنشأ للباطنيه دار دعوة ببلاد الشـــام[(١٧)] .

وبامتداد نشاط الباطنيه الى بلاد الشام فى تلك الفترة ، ازدادت بلاد الشام فوضى واضطراب ، وأضاف عاملا جديداً من عوامل الصراع والتنافس داخل تلك البلاد . وأخذ رجال الباطنيه يوجهون نشـــاطهم ضـــد المسلمين والصليبيين ســـواء ، وقاموا باغتيال عدد كبير من قادة المسلمين ، كما انهم تحالفوا فى فترات كثيرة مع الصليبيين ، كل ذلك أدى الى زيادة التفكك والتمزق ببلاد الشام عصر الحروب الصليبية .

وكان من نتيجة الأعمال الاجرامية التى مارسها الباطنيه بحلب ضد المسلمين ، وانحرافهم عن الدين ، ان استاء منهم أهالى الشام ، مما دفع بعض الامراء فى التحدث مع رضوان فى امرهم حتى يعدل عن مساندتهم وتأييدهم ، وقد أشار الى ذلك ابن العديم[(١٨)] بقوله « وكاتبة الملوك

---

(١٥) يشير الدكتور حسن ابراهيم حسن الى ان بداية نشـــاط الباطنيه السياسى ببلاد الشام يبدأ عام ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) وذلك بالاستيلاء على قلعة بانياس . (انظر : تاريخ الاسلام ، ج ٤ ص ٢٧٦) .

(١٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ ، ابن العديم : زيدة الحلب ، ج ٢ ص ١٤٥ .

(١٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ، ج ٥ ص ٢٠٥ .

(١٨) زيدة الحلب ، ج ٢ ص ١٤٥ .

فى امرهم ، فلم يلتفت ولم يرجع عنهم » ، وهكذا نسجع رضوان الباطنيه فى التمادى فى افعـــالهم الاجرامية ، ممـــا أدى الى زيادة جرائمهم واغتيالاتهم ، ونحن قد سبق أن أشرنا أن الدافع الرئيسى الذى دفع رضوان الى الاعتماد على الباطنيه كانت رغبته فى تحقيق بعض الاطماع الشخصية ومحاولته الاعتماد على قوة تساعده فى ذلك ، وهذا يوضح ما وصل اليه حكام الشام من تخبط فى تلك الفترة .

وكانت النتيجة الطبيعية هو كثرة عدد الضحايا الذين اغتالوهم الباطنيه ببلاد الشام فى تلك الفترة ، ففى عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م قتل ثلاثة من الباطنيه جناح الدولة بن الحسين صاحب حمص ، قتلوه بجامع حلب اثناء تأدية الصلاة[١٩] ، والمعروف أن جناح الدولة كان على عـــداء مع رضوان[٢٠] ، ولكنه كان فى نفس الوقت من ألد اعداء الصليبيين ، خاصة ريموند التولوزى ، حيث وقف جناح الدولة حائلا بين ريموند وتحقيق اطماعه فى طرابلس ، لذلك جاء مقتل جناح الدولة فى صـــالح الصليبيين بصفة عامة ، وريموند بصفة خاصة ، واصبح فى مقدوره تحقيق اطماعه فى طرابلس . ومعنى ذلك أن المسلمين أخذوا يصفون أنفسهم بأنفسهم ، وبالطبع كان المستفيد الوحيد هم الصليبيون .

ومما يؤكد هـــذه الحقيقة ، ما حدث عندما قتل خلف بن ملاعب صاحب أفاميه على يد جماعة من الباطنية ، فما كان من تانكرد الا أن انتهز هذه الفرصـــة وهاجم أفاميه واســـتولى عليها بعد مقتل خلف

---

(١٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٨٤ ، ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٢٠ ب ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان .
(Rec - Hist or . T3 , p 525)
برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١١٦ .

(٢٠) ولا يستبعد ان يكون رضوان هو الذى اوعز الى الباطنيه بقتله نتيجة ذلك العداء .

وعن العداء بين رضوان وجناح الدولة انظر ما سبق فى الفصل الأول .

بن ملاعب[٢١] ، كما أصبح الطريق ممهداً امامه للاستيلاء على كفر طاب وغيرها من أعمال حلب[٢٢] .

ويبدو أن الباطنيه أرادوا أن يتخذوا لأنفسهم مقراً آخر ببلاد الشام غير حلب ، بعد أن احسوا بثقلهم على رضوان ونفور أهل حلب منهم ، وما فعله عامة أهل حلب من سب رضوان بسببهم[٢٣] ، لذلك فكروا فى اتخاذ قلعة شيزر مقراً لهم ، وكان أن انتهزوا فرصة خروج صاحبها [٢٤] للنزه عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م فقاموا بمهاجمتها بغته حيث « دخلوا على حين غفلة من أهلها ، وملكوها وملكوا القلعة » غير أن صاحبها استطاع استعادتها من الباطنية بعد قتال شديد « قتل فيه خلق عظيم من أهل شيزر ومن الباطنيه »[٢٥] . وهكذا أثار الباطنية الرعب والفزع فى صفوف المسلمين ببلاد الشام ، وأصبح أهل بلاد الشام واقعين بين نارين ، نار الصليبيين من ناحية ، ونار الباطنيه من ناحية أخرى .

ومن بين ضحايا الباطنية أيضا القائد التركى مودود ، الذى تزعم حركة الجهاد ضد الصليبيين ، والذى اغتاله أحد رجال الباطنيه عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م [٢٦] ، فى جامع دمشق اثناء تاديته صلاة الجمعة[٢٧] ،

---

(٢١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٨٥ .
(٢٢) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٧٦ .
(٢٣) يشير ابن العديم الى ان العوام اطلقوا « السنتهم بالسب له — اى رضوان — وتعييبه وتحدثوا بذلك فيما بينهم » .
انظر : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠ .
(٢٤) اشترى سديد الملك ابو الحسن بن منقذ شيزر من احد الاسقافه فى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، ومنذ ذلك التاريخ اصبحت شيزر ملكا لبنى منقذ انظر : ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٨٩ ، محمد مرسى الشيخ : الامارات العربية فى بلاد الشام ص ٢٩٤ — ٢٩٧ .
(٢٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٦٨٣ .
(٢٦) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٣ ب ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٧ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٢٠٧ .
(٢٧) يشير السيوطى الى انه بعد مقتل مودود ارسل ملك الفرنج الى صاحب دمشق رسالة جاء منها : « وان امه قتلت عميدها فى يوم عيدها فى بيت معبودها ، لتحقيق على الله ان يبتزها » . انظر تاريخ الخلفا ص٦٨٤

وبالطبع كان المستفيد الوحيد من قتل مودود هم الصليبيون[٢٨] .

وبعد أن تولى البب ارسلان بن رضوان حكم حلب بعد وفاة والده عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م [٢٩] ، حاول طرد الباطنيه من حلب ، ودخل معهم فى مناوشات وحروب ، قتل خلالها بعض رجال الباطنيه مثل ابا طاهر الصايغ واسماعيل الداعى وغيرهم[٣٠] ، غير أن هذه المحاولات لم تقض على الباطنيه بحلب ، وعادوا الى قوتهم السابقة وذلك بفضل البب ارسلان نفسه الذى انغمس فى اللهو وسوء التصرف ، مما اتاح الفرصة للباطنيه لمعاودة نشاطهم الاجرامى من جديد متخذين حلب قاعدة لهم[٣١] .

ومن الأعمال الاجرامية التى قام بها الباطنيه ايضـــا ، اغتيالهم آق سنقر البرسقى ، صاحب الموصل ، عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، وهو الرجل الذى تحمل عبء الجهد ضد الصليبيين فى شمال الشام بعد أن عجز حكامه عن الصمود فى وجه الصليبيين ، وقد قام جماعة من الباطنيه بالوثوب عليه أثناء تأديته صلاة الجمعة بجامع الموصـــل[٣٢] ، وكان

---

(٢٨) انظر ما سبق فى الفصل الرابع .

(٢٩) هو تاج الملوك الب ارسلان وكان يعرف بالأخرس ، وكان عمره حين تولى حكم حلب ستة عشر عاماً (ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٦٧) .

(٣٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٩ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٤٢ .

(٣١) عن سوء سيرة الب ارسلان انظر :

العظيمى : تاريخه Jornal Asiatique , p 382.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان Rec. Hist . or , T3, p 567.

ابن العديم : بغية الطلب Rec . Hist. or. T3 , p 728. ،

وقد قال ابن القلانسى عن الب ارسلان بعد مقتله « وقد كان تدبيره لنفسه ورعيته سيئاً فاسداً لا يرجى له صلاح ولا اصلاح ، فمضى لسبيله غـــير مأسوف عليه » . ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩١ .

(٣٢) ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٩ ب ، ابن العديم : بغية الطلب Rec . Hist. or, T3 , p 726. ، ابن واصـــل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣١ .
=

البرسقى قبل مقتله قد حقق عدة انتصارات على الصليبيين [٣٣] ، اذلك فرح الصليبيون كثيرا بمقتله ، وانتهزوا فرصة اضطراب الأحوال بالشام وقاموا بمهاجمة القرى والضياع الآمنة ، من ذلك ما فعله جوسلين من مهاجمة أعمال حلب وقراها ، بل تعدى الأمر الى مهاجمة حلب نفسها ، وكادت المدينة تسقط فى يد جوسلين [٣٤] ، فاضطر حاكمها سليمان بن عبد الجبار بن أرتق الى دفع مبلغ كبير من المال لجوسلين حتى يبعده عن حلب [٣٥] .

* * *

ثم امتد نشاط الباطنيه الى جنوب بلاد الشام بعد استيلائهم على قلعة بانياس عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م [٣٦] ، ويستفاد مما ذكرته المصادر أن الباطنيه حصلت على بانياس نتيجة علاقة الموده التى ربطت طغتكين اتابك دمشق مع أحد زعماء الباطنيه الوافدين حديثاً من فارس وهو بهرام ، وقد أقام هذا الأخير ضيفاً على طغتكين بدمشق ، ويحاول ابن القلانسى [٣٧] — وهو مؤرخ دمشقى — تبرئة طغتكين من استضافة بهرام وتشجيعه على البقاء فى دمشق بأن طغتكين كان مكرهاً فى ذلك خشية غدر الباطنية فيقول ابن القلانسى وقد « اكرم — اى بهرام — لاتقاء شره وشر جماعته » . ولكن مهما كانت دوافع استضافة بهرام واكرامه بدمشق ، فان النتيجة هى استفحال خطر الباطنيه الذين حصلوا على بانياس من طغتكين لتكون معقلا لهم بجنوب الشام . وقد اثار هذا

= ويبدو ان الباطنية قتلوا البرسقى انتقاما منه ، لقيامه فى العام السابق ٥١٩ هـ بقتل جماعة منهم ، بعد اعتقاده انهم هم الذين قتلوا القاضى ابو الفضل ابن الخشاب (انظر : ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٩ ب) .

(٣٣) العظيمى : تاريخه . Jornal Asiatique, — 382.

(٣٤) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ص ٢٣١ ، Stevenson : The Crusaders in the zast, p 119.

(٣٥) ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٢ ص ٢٣٩ ،

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٥٤ .

(٣٧) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٥ .

العمـــل المعاصرين من فقهاء وعلمـــاء ومؤرخين واعتبروه كارثة حلت بالديار الاســـلامية(٣٨) .

ويبدو أن طغتكين أحس بعد ذلك بالآثار السيئة التى صاحبت استيلاء الباطنيه على بانياس واتخاذها معقلا لنشاطهم الاجرامى ، لذا حاول التخلص منهم ، لكنه توفى بعد قليل . وبعد تولية تاج الملوك بورى حكم دمشق بعد وفاة والـــده طغتكين ، تآمر الباطنيه ضـــده (عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م) واتفقوا مع الصليبيين على تسليمهم دمشق ، فى مقابل حصولهم على مدينة صور ، وبعد أن أيقن بورى من تآمرهم ، حمل عليهم حملة قوية بقصد القضاء عليهم ، وقتل زعميهم المزدقانى وعلق رأسه على باب القلعة ، ونادى فى البلد بقتل الباطنيه ، وقتل منهم جماعة كبيرة (٣٩) .

وكان الصليبيون هم المستفيدون من وراء هذا التفكك الذى أصاب الدولة الاسلامية ، ففضلا عن استيلائهم على بانياس من الباطنيه(٤٠) ، فانهم قاموا بالاغارة على دمشق منتهزين فرصة اضطراب الأحوال بها ، وضمت هذه الحملة الصليبية كلا من بلدوين الثانى وفولك الانجوى ، وانزلا أضراراً بالغة بدمشق (٤١) .

* * *

---

(٣٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٥ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ٢٥٥ .

(٣٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٠ ، سبط بن الجورى : مرآة الزمان Rec. Hist . or . T3 , p 728.

(٤٠) وتشير المصادر الى أن الباطنيه ببانياس خشوا من حكام دمشق فسلموا بانياس الى الصليبيين فى نفس العام (٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م) .

انظر : ابن ابى الدم : التاريخ المظفرى ، ورقه ٩٤ ب .

(٤١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(د) تحالف الباطنيه مع الصليبيين

ومن المؤسف أن رجال الباطنيه لم يتورعوا عن التحالف مع الصليبيين ضد بقية الزعماء المسلمين ، ويطفح تاريخ الباطنيه بمثل تلك المحالفات وقد رحب الصليبيون بهذا التحالف وذلك لاحتياجهم لأفـراد يعرفون أسرار البلاد ومسالكها ، وكثيرا ما اتخذ الصليبيون الباطنيه خاصة فريق الفداويه لتنفيذ مخططاتهم .

ويضيق بنا المقام عند استعرضنا كل الأدوار التى تحالف فيها الباطنيه مع الصليبيين ، وانما سنكتفى ببعض الأمثلة فقط ، من ذلك اعتماد ريموند دى بواتييه على الباطنيه عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م اثناء محاربته نور الدين محمود ، ويبدو أن الباطنيه قد انكروا على نور الدين محمود ابطال كثير من شعائر الشيعه بدولته ، لذلك لم يترددوا فى الوقوف الى جانب الصليبيين ضده(٤٢) .

كذلك بعد أن قبض صلاح الدين الأيوبى على زمام الأمور فى مصر ، وأسقط الخلافة الفاطميه الشيعيه عام ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م وأزال شعائرها ، غضب الباطنيه لذلك ، وانضموا الى عمورى الأول ملك بيت المقدس ، للوقوف امام خطر صلاح الدين عليهم(٤٣) .

غير أن محاولات الباطنيه والصليبيين ومن ولاهم من شيعة الفاطميين قد فشلت فى النيل من صلاح الدين ، وازداد موقفه قوة ،

---

(٤٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠١ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ١ ص ٥٧ .

ومن الجدير بالذكر ان نور الدين محمود انزل فى عام ٥٤٤ هـ هزيمة ساحقة بالصليبيين والباطنيه جميعاً ، كان من أهم نتائجها مقتل زعيم الباطنيه نفسه .

(٤٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢٤٩ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ق ١ ص ٦٢ ، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ص ١٢٩ .

ثم انتقل الى بلاد الشام ليعيد توحيد دولة نور الدين ، كل هذا أثار مخاوف الباطنيه ، لذلك قرروا التخلص منه عن طريق الاغتيال ، فدبر مقدمهم سنان أكثر من مرة المؤمرات لاغتيال صلاح الدين ، لكن باءت هذه المحالات بالفشل(٤٤) .

وقد أدى موقف الباطنيه المعادى لصلاح الدين ، الى قيامه بالاغاره على حصونهم وقلاعهم عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م لمعاقبتهم وكادت قلعة مصياف — احدى حصونهم — تسقط فى يده ، لولا أن طلب الباطنيه توسط خال صلاح الدين شهاب الدين صاحب حماه ، فى الصلح بينهما ، فرحل صلاح الدين عنهم (٤٥) .

كذلك أدى نجاح صلاح الدين فى توحيد الجبهة الاسلامية ، الى تخوف كلا من الصليبيين والباطنيه ، فازداد ارتباطهم وتحالفهم ، ومما يؤكد ذلك تلك الزيارة التى قام بها هنرى دوق شامبنى لحصون ومعاقل الباطنيه عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ، وما تبع ذلك من تبادل الهدايا بين الجانبين(٤٦) .

من الملاحظ أن الصليبيين أنفسهم لم يسلموا من عدوان الباطنيه ، ففى عام ٥٤٦ هـ / ١١٥٢ م اغتال الباطنيه ريموند الثانى — صاحب طرابلس ، ويقال أن زوجته هو دبرن هى التى اوعزت الى الباطنيه بقتله(٤٧) .

---

(٤٤) عن هذه المؤامرات انظر :
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٥٤ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٦١ ، ابو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٢٧ ، الاصفهانى : سنا البرق الشامى ص ١٠٠ .
(٤٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٠٧ .
(٤٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٨٧٢ — ٨٧٣ .
من الجدير بالذكر ان الحشاشين كانوا يدفعون جزية للاسبتار والداويه ، وقد طلب شيخ الجبل من لويس التاسع اثناء اقامته ببلاد الشام ان يعفيه من اداء هذه الجزيه . راجع جوانفيل : القديس لويس ص ٢٠٤ .
(٤٧) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٦٣٠ .

وفى عام ٥٨٨ هـ / ١١٠٢ م اغتال الباطنيه كونراد مونت فرات ، وقد اختلفت الآراء حول المحرض على قتله[٤٨] . كذلك فى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م اغتال الباطنيه ريموند بن بوهيموند الرابع بتحريض من بعض الأمراء الصليبيين[٤٩] .

استمر الباطنيه يؤدون دورهم الهدام الى أن تم القضاء على معقلهم فى العراق على يد المغول عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ، حيث استولى المغول على قلعة ألموت وقبضوا على زعيمهم وقتلوه[٥٠] ، وبذلك انتهى دورهم فى العراق . أما فريق الباطنية بالشام فاستمر يمارس نشاطه التخريبى حتى كان عصر المماليك حيث قضى الظاهر بيبرس على نشاطهم نفوذهم تماما واستولى على معاقلهم[٥١] ، وبذلك انتهى دور الباطنيه الذين لعبوا دوراً هداماً فى تاريخ الشرق الاسلامى عصر الحروب الصليبية .

---

(٤٨) عن هذه الاراء انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٨٥٠ — ٨٥١ ،
Runciman b Hist and the Crusades, vol. 3, p. 65

(٤٩) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٢٢٠ .
ويذكر ابن الفرات ان الفرنج ارادوا الانتقام لمقتل ريموند فساروا الى بلاد الاسماعلية غير أن الملك الظاهر صاحب حلب وقف الى جانب الاسماعيلية فى تلك المرحلة . انظر تاريخ الامم والملوك حوادث سنة ٦١١ ص ١٥٣ — ١٥٤ (تحقيق الشماع) .

(٥٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ص ١٠٦٢ ، الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .
=
= ويذكر ابن أبى الدم انه فى عام ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م « ورد رسل الباطنية الى بغداد من الموت وبقية بلادهم اخبروا عنهم انهم اسلموا واظهروا شعائر الاسلام ، وبعثوا بمفاتيح بلادهم وقلاعهم الى دار الخلافة » التاريخ المظفرى ، ورقة ١١٦ . ويفهم من هذا النص أن الباطنية بألموت كانوا قد بدأوا منذ عام ٦٠٧ هـ فى التوبه والعدول عن موقفهم الاجرامى والبعد عن التطرف .

وخلال هذه الفترة لم يتوقف تعاون الباطنيه مع الصليبيين ، والأمثلة كثيرة على ذلك . انظر : جوزيف نسيم : حملة لويس ص ٢٢٥ — ٢٥٢ .
(٥١) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ٥٥٧ .

الفصل السادس

الصراع زمن الأيوبيين

(أ) الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين ٠

(ب) اختلاف أولاد العادل ٠

(جـ) الحالة السياسية بالدولة الأيوبية بعد وفاة الكامل ٠

(د) الخوارزمية والأيوبيون ٠

(هـ) الصراع بين الأيوبيين وسلاجقه الروم ٠

الفصـــل السـادس

الصراع زمن الأيوبيين

(أ) الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين

بوفاة صلاح الدين الأيوبى عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ، دخلت الدولة الالأيوبية فى صراع شديد بين خلفاء صلاح الدين سواء كانوا ابناءه أم اخوته ، ذلك أن صلاح الدين أوصى بالسلطنه من بعده لأكبر ابنـائه وهو الأفضل نور الدين على حاكم دمشق ، وجعل له السلطة العليا على بقية أجزاء الدولة الأيوبية[١] .

غير أن الأفضل هذا لم يكن أهلا لهذه المسئولية الكبيرة ، وقد أشار بعض المؤرخين انه انغمس فى اللهو والملذات[٢] ، ويبدو أنه فقد ثقته فى معظم من حوله من الأمراء والوزراء فابعدهم عن أمور الدولة ، فى حين قرب اليه الوزير ضياء الدين بن الاثير واعتمد عليه فى تصريف الأمور ، وقد اغضب هذا العمل معظم الوزراء والأمراء ، لذلك فضلوا المسير الى مصر حيث كان بها الابن الثانى لصلاح الدين وهو الملك العزيز عثمان ، وحرضوه على منازلة أخيه الأفضل وانتزاع السلطنة منه[٣] . وقد استمع العزيز عثمان انداء هؤلاء الأمراء ، وخرج من مصر عـام ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م متجهاً الى دمشق وفرض عليها الحصار[٤] .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٣٧٨ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٢١ .

(٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهره ، ج ٦ ص ١٢٠ .

(٣) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٧٧ .

(٤) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ١١٤ أ .

وعلى هذا النحو بدأ الصراع بين ابناء صلاح الدين الأيوبى حول السلطنة ، مؤذناً بتفكك الوحدة التى جاهد صلاح الدين طوال عدة سنوات فى اقامتها ، فى وقت كان يحتاج فيه ابناء صلاح الدين لتضافر الجهود لطرد البقية الباقية من الصليبيين •

ولم يكن فى مقدور الأفضل الخروج لمحاربة جيوش أخيه العزيز ، لذلك أرسل الى عمه الملك العادل مستنجداً به • وكان الملك العادل سيف الدين ابو بكر أخو صلاح الدين يحكم الكرك والأردن بالاضافة الى الجزيرة وديار بكر(٥) ، وهى أقاليم ليست بنفس أهمية دمشق أو مصر ، لذلك انتهز العادل فرصة الخلاف بين ابناء صلاح الدين ليمد نفوذه الى دمشق •

غير أن هذا الدور من الصراع انتهى باتفاق ابناء صلاح الدين على أن يعود العزيز عثمان الى مصر ويأخذ بيت المقدس وما يتبعها من أعمال ، فى حين يحتفظ الأفضل بدمشق ، أما الملك العادل فقد ظهر فى صورة كبير البيت الأيوبى ، وأصبح من أقوى الشخصيات فى تلك الفترة(٦) •

ولم تلبث أن ساءت سيرة الأفضل بدمشق ، بعد أن استأثر وزيره ضياء الدين بن الاثير بالسلطة ، وكثرت شكوى الأمراء منه • وهنا وجد العادل فرصته ، فاتفق مع العزيز عثمان على انتزاع دمشق من يد الأفضل ، وابعاده الى صرخد (صلخد) ، وأن يتولى حكمها العادل نفسه ، وأن تكون السلطة العليا فى الدولة الأيوبية للعزيز عثمان ، ويحتفظ كذلك بلقب السلطنة(٧) •

---

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٣٧٩ •

(٦) المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ١٢٨ •

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ص ٦٠ ، ٦١ ، ابو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٦١ •

وهكذا انتهى الدور الأول من أدوار الصراع بين ابناء صلاح الدين بعزل الأفضل عن حكم دمشق وتولية العادل حكمها ، والحق ان العادل قام فى تلك المرحلة والمراحل التى تلتها بأمور البيت الأيوبى خير قيام ، ففضلا عن قيامه بحل المشاكل الداخلية ، قام ايضا بصد كافة الهجمات التى قام بها الصليبيون على املاك الأيوبيين • فقد قام الصليبيون عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م بالاغارة على بعض المدن الاسلامية منتهزين فرصة انشغال ابناء البيت الأيوبى بمشاكلهم الداخلية ، غير أن العادل استطاع انزال الهزيمة بهم بتل العجول ، كما استولى منهم على يافا • كذلك قام الصليبيون بالزحف على بيت المقدس بقصد الاستيلاء عليه منتهزين فرصة انشغال ابناء البيت الأيوبى بخلافاتهم الداخلية ، فما كان من العادل الا أن وحد قوى الأيوبيين وأنزل بهم هزيمة ساحقة(٨) •

أما الدور الثانى من أدوار الصراع بين ابناء البيت الأيوبى ، فقد نشب بعد وفاة العزيز عثمان عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م ، ذلك أن الأمراء الصلاحية اتفقوا على تولية العادل مصر ، الا أن بقية الأمراء رفضوا ذلك ، وفضلوا احضار الأفضل من صرخد ، وتوليته مقاليد الأمور بمصر ، وبالفعل تم احضار الأفضل وتولى حكم مصر(٩) •

ثم اتفق كل من الملك الأفضل صاحب مصر والملك الظاهر صاحب حلب والملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص على عمهما الملك العادل ، واتفقوا على المسير الى دمشق وانتزاعها منه عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م • وعندما علم بذلك العادل وكان فى ذلك الحين خارج دمشق ، عاد اليها مسرعاً قبل وصول الأفضل وحلفائه ، واستعد لصد هجوم ابناء أخيه ، واستعان بولده الملك الكامل •

---

(٨) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٨٢ •
(٩) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقه ١١٤ أ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٢٢ •

وبعد أن وصل الأفضل وحلفائه الى دمشق ، فرضوا عليها الحصار ، واستمروا محاصرين لها الى ان دخلت الشتاء فرفعوا عنها الحصار وعادوا الى بلادهم . وفى تلك الأثناء راسل العادل امراء مصر واتفق معهم على تسليمه مصر ، لذلك سارع بالتوجه اليها عقب رحيل الأفضل عن دمشق ، وأنزل بجيوش الأفضل الهزيمة ودخل مصر فى نفس العـــام (٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م) فى حين فضل الأفضل الرحيل الى صرخد(١٠) .

وهكذا استطاع العادل توحيد الجبهة الاسلامية مرة أخرى ، بعد أن مزقها الصراع والانقسام .

* * *

---

(١٠) ابن ابى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ، ورقـــه ١١٤ أ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

(ب) اختلاف أولاد العادل

وعاد الصراع مرة أخرى بين أبناء البيت الأيوبى بعد وفاة الملك العادل عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، عندما نشب الخلاف بين أبناءه الثلاثة وهم الملك الكامل ابو المعالى محمد صاحب مصر ، والملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، والملك الأشرف موسى صاحب حران والرها(١١) . وتشير المصادر الى أن سبب هذا الصراع يعود الى أطماع الملك المعظم عيسى فى املاك أخيه الأشرف موسى واملاك بقية ابناء البيت الأيوبى بالشام مثل حماه وحمص(١٢) .

وقد انتهز المعظم عيسى فرصة غياب أخيه الأشرف عن بلاده واقامته بمصر عند أخيه الملك الكامل عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، وقام بالاغارة على املاكه ، كما وضع يده على حماه ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى مسامع الأشرف اتفق مع أخيه الكامل على مكاتبة المعظم يطلبان منه الرحيل عن حماه والكف عن تطلعاته وأطماعه ، وما أن وصلت تلك الرسالة الى المعظم الا وغضب كثيراً واضطر الى الرحيل عن حماه « مغضبا محنقا على أخيه ، فكان ذلك ابتداء الوحشه بينه وبينهما »(١٣) .

وهكذا بدأ الصراع يظهر من جديد بين ابناء البيت الأيوبى ؛ وزاد من حدة هذا الصراع ما توهمه المعظم من حدوث اتفاق بين الملك الكامل والملك الأشرف موجه ضده بقصد ابعاده عن حكم دمشق وأخذها منه . لذلك سارع باقامة جبهة ضدهما عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م

---

(١١) ابو المحاسن : مورد اللطافه ، ص ٣٠ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١١٢ — ١١٣ .

(١٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١١٧ — ١٢٠ .

(١٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢١٤ .

من كل من مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك صاحب اربل ، والملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب خلاط وميا فارقين وحانى وولى عهد الأشرف ، وتم الاتفاق على أن يقصد الأول الموصل وكانت لبدر الدين لؤلؤ الذى كان منتمياً للأشرف ، فى حين يخرج الثانى على الأشرف ويحاربه ، بينما يقوم المعظم بمهاجمة البلاد الشرقية التى للأشراف[١٤] •

وامام ذلك الخطر أرسل الأشرف الى أخيه الملك الكامل يعرفه الحال ليتخذ من التدابير ما يمنع سقوط املاك الأشرف فى يد المعظم وحلفائه • فبعث الملك الكامل الى المعظم يقول له :

« ان تحركت من بلدك سرت اليه وأخذته » فخاف المعظم وعاد الى دمشق[١٥] • فى حين فشل مظفر الدين كوكبورى فى الاستيلاء على الموصل ، بينما أذعن المظفر شهاب الدين غازى للأشرف وعاد الى طاعته ، فعفا عنه الأشرف[١٦] •

وعلى هذا النحو فشل المعظم عيسى فى الاستيلاء على املاك الأشرف عن طريق تحالفه مع مظفر الدين كوكبورى والمظفر شهاب الدين ، مما جعله يبحث عن عون جديد يساعده فى تحقيق اطماعه الخاصة بالاستيلاء على أراضى أخيه الأشرف والوقوف فى وجه أخيه الكامل •

وأخيرا وجد هذا العون ممثلا فى قوة أخرى خارج البيت الأيوبى هى قوة الخوارزميه ، وقد أدى هذا الى اتساع دائرة الصراع بين ابناء البيت الأيوبى ، وهدد وحدته ، وادى فى النهاية الى ضياع أملاك المسلمين •

---

(١٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ص ١٣٧ — ١٣٨ •

(١٥) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ١ ص ٢١٥ •

(١٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ص ١٣٨ — ١٤٠

فقد حدث فى أوائل عام ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، حينما قوى أمر السلطان جلال الدين منكبرتى بن علاء الدين خوارزم شاه ، وصارت له مملكة عراق العجم واذربيجان[١٧] ، أن راسله الملك المعظم عيسى[١٨] ، واطمعه فى بلاد أخيه الأشرف[١٩] ، وصارت كلمتهم واحدة[٢٠] ، ويذكر المقريزى[٢١] أن المعظم راسل جلال الدين الخوارزمى واتفق معه « معاندة لأخيه الكامل ولأخيه الأشرف صاحب البلاد الشرقية » .

والواقع ان فكرة تحالف المعظم مع جلال الدين الخوارزمى صادفت قبولا لدى الأخير ، الذى وجد فى ذلك الحلف فرصة لتوسيع نفوذه على حساب ما جاوره من البلاد[٢٢] .كما رأى فيها ايضا فرصة لضم المعظم الى جانبه ضد الخليفة العباسى ، وقد اشار سبط بن الجوزى[٢٣] الى ان جلال الدين الخوارزمى كتب الى المعظم فى الخروج لمحاربة الخليفة العباسى ، غير أن المعظم رفض ذلك وقال : « أنا معك على كل أحد الا الخليفة فانه امام المسلمين »[٢٤] .

---

(١٧) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢١٥ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ٤٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١٠ ورقه ٦٨ (مخطوط) .

(١٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ص ٦٣٢ ، ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب ، ورقه ٨٥ (مخطوط) .

(١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ص ١٩٧ — ١٩٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

(٢٠) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٧٥ ، ابن العميد : اخبار الأيوبيين ، ص ١٣٦ .

(٢١) السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢١٦ .

(٢٢) حافظ احمد حمدى : الدولة الخوارزميه والمغول ، الصياد : المغول فى التاريخ ، ص ١٢٣ — ١٢٨ .

(٢٣) مرآة الزمان ، ج ٨ ق ٢ ص ٦٣٤ .

(٢٤) ونتيجة ذلك العداء بين الخليفة العباسى وجلال الدين ، أرسل الخليفة الى المعظم عام ٦٢٣ هـ خلعه وطلب منه الرجوع عن موالاة جلال الدين الخوارزمى . (ابو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٢٦٣) .

ولم يكتف المعظم بمحالفة جلال الدين ، بل أراد أن يتبع مع الملك الكامل أسلوب التهديد واشاعة الخوف فى نفسه ، فكتب اليه يقول : « ان قصدتنى لا آخذك الا بعسكرك »(٢٥) • ونتيجة لذلك التهديد توهم الملك الكامل من جنده وخاف من امرائه ولم يستطع الخروج من مصر(٢٦) • فانتهز المعظم هذه الفرصة وهاجم حمص وخرب قراها ومزارعها ، وحاول الاستيلاء عليها لكنه فشل فى ذلك فعاد الى دمشق (رمضان ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) • وعلى هذا النحو ازداد الخلاف بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وأخويه الملك الكامل والملك الأشرف •

ثم رأى الأشرف أن يذهب الى أخيه المعظم عيسى لاصلاح هـذا الخلاف ، « وقطع مادة الشر » ، وكان ذلك فى رمضـان من نفس العام (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) فرحب به المعظم ترحيباً كبيراً ، ولكنه حجر عليه ، وأرغمه على الوقوف بجانبه ضد الكامل صـاحب مصر ، وصاحبى حماه وحمص(٢٧) • وظل الأشرف محجوراً عليه عند المعظم حتى عاد الى بلاده فى جمادى الآخرة عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م (٢٨) •

وأثناء وجود الأشرف بدمشق ، شهد الرسل تتردد بين المعظم وجلال الدين الخوارزمى(٢٩) • وكان الاتفاق بينهما على مهاجمة جلال

---

(٢٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ص ١٧٧ ، ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب ، ورقه ٨٥ (مخطوط) ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١٠ ورقه ٦٩ — ٧٠ (مخطوط) •

(٢٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢١٥ ، الخطط جـ ٤ ص ٢١٣ ، ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٧ •

(٢٧) كان صاحب حماه هو الملك الناصر ، وصاحب حمص هو الملك المجاهد (العينى : عقد الجمان : حوادث عام ٦٢٤ هـ) •

(٢٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ص ١٧٩ — ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ص ١٣٧ ، ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٩٨ — ١٩٩ •

(٢٩) ابو الفدا ، المختصر ، جـ ٣ ص ١٣٧ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، جـ ١ ورقه ٧٠ — ٧١ (مخطوط) ، ابن العديم : زيدة الحلب ، جـ ٣ ص ١٩٨ •

الدين اخلاط ، كما شاهد أخاه المعظم وهو يرتدى خلعه جلال الدين الخوارزمى[٣٠] • بالاضافة الى ذلك علم الأشرف بعزم المعظم على تزويج احدى بناته من جلال الدين[٣١] ، كما خطب لجلال الدين على منابر دمشق[٣٢] •

وعندما عاد الأشرف الى بلاده ندم على ذهابه الى المعظم ، ولم يلبث أن « تأول فى ايمانه » التى حلفها للمعظم ، ورجع عن جميع ما تقرر بينهما[٣٣] • كما أخبر الملك الكامل بكل ما شاهده فى دمشق خاصة الاتفاق القائم بين المعظم وجلال الدين الخوارزمى[٣٤] •

وعندما علم الكامل بذلك حاول ان يثنى المعظم عيسى عن تحالفه مع الخوارزميه ، وبذل فى سبيل ذلك عدة محاولات كان من بينها محاولات دبلوماسية قام بها سفراء الملك الكامل كان من بينهم كمال الدين أحمد ابن شيخ الشيوخ ، الذى كلفه الكامل بالتوجه الى دمشق والتحدث مع المعظم فى عدم المضى عن محالفة جلال الدين[٣٥] • ويبدو أن المعظم عيسى قد أصم أذنيه عن سماع اى نداء لاعادة العلاقات الودية مع اخواته وابناء عمومته ، وفضل السير فى طريق عدائه لهم وصداقته وتحالفه مع جلال الدين الخوارزمى[٣٦] •

---

(٣٠) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٦ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ورقه ١٥٣ — ١٥٤ •

(٣١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ١٧٩ •

(٣٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٦ •

(٣٣) ابو الفدا : المختصر ، ج ٣ ص ١٣٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢٢٢ •

(٣٤) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ١٣٦ •

(٣٥) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٢٣ •

(٣٦) حامد زيان : العلماء بين الحرب والسياسة ، ص ٣٢ •

وهنا خشى الكامل « ان يكون اتفاقهما — أى المعظم وجلال الدين — سببا لزوال الدولة ، فأرسل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ[٣٧] الى الامبراطور فردريك الثانى يطلب منه القدوم الى عكا ، ووعده أن يعطيه البيت المقدس وبعض الفتوح الناصرى ، وقصد بذلك « اشغال سر أخيه المعظم ليحتاج الى موافقته والدخول فى طاعته »[٣٨] .

وهكذا ازداد الشقاق والخلاف ، واشتد الصراع بين ابناء البيت البيت الأيوبى ، الذين استعانوا على بعضهم البعض بقوى خارجية ، هى قوة الخوارزميه ، وقوة امبراطور المانيا فردريك الثانى .

وكان من نتائج ذلك هو أن سلم الكامل بيت المقدس لفردريك الثانى ، بعد أن كافح وجاهد جده صلاح الدين فى استعادته من الصليبيين[٣٩] .وهذا تأكيد صريح لما سبق أن ذكرناه من أن المستفيد الوحيد للصراع بين القوى الاسلامية ، هم الصليبيون .

***

(٣٧) عن فخر الدين بن شيخ الشيوخ انظر : حامد زيان : العلماء بين الحرب والسياسة ص ٤٦ — ٨٤ .

(٣٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١٠ ورقه ٨٨ (مخطوط) .

(٣٩) عن تفاصيل ذلك انظر : حامد زيان : العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام ، ص ١٢٣ — ١٤٨ .

(جـ) الحالة السياسية بالدولة الأيوبية بعد وفاة الكامل

بوفاة الملك الكامل محمد ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م ، اضطربت أمور الدولة الأيوبية ، خاصة بلاد الشام ، ففى حين أقر الكامل على حكم مصر ابنه العادل الصغير (٦٣٥ — ٦٣٧ هـ / ١٢٣٧ — ١٢٣٩ م) ، الا أنه ابعد ابنه الأكبر الملك الصالح نجم الدين الى حصن كيفا ، وفى نفس الوقت تصارع مختلف الأمراء على حكم دمشق •

ويذكر سبط بن الجوزى[٤٠] وهو مؤرخ معاصر لتلك الأحداث ، انه بعد وفاة الكامل « اختلفت الأمراء فيمن يولون » ، وانتهى الأمر بتولية الملك الجواد حكم دمشق •

غير أن الأمور لم تستقر بذلك ، وانما ازداد الصراع بين ابناء البيت الأيوبى خاصة عندما أخذ الجواد فى الاستقلال بحكم دمشق عن السلطنة الأيوبية بمصر[٤١] ، كما كان لمنافسة الناصر داود بن المعظم عيسى له أثر كبير فى اشتداد ذلك الصراع • والمعروف أن الناصر داود كان يطمع فى حكم دمشق التى كانت لأبيه سابقا[٤٢] ، والواقع أن الناصر هذا كان حاقداً على الملك الجواد والملك العادل جميعاً[٤٣] •

وقد أخذ الناصر يحيك المؤامرات ليس فقط من أجل الاستيلاء

---

(٤٠) مرآة الزمان ، جـ ٨ ص ٧٠٧ .

(٤١) ويشير ابن واصل الى أن الملك الجواد « كان يظهر الطاعة للملك العادل ، وانه نائبه ، ويعمل فى الباطن على التفرد بملك دمشق » ومفرج الكروب ، جـ ٥ ص ١٩٢ •

(٤٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٤٥ ، الزبيدى : ترويح القلوب فى ذكر الملوك من بنى ايوب ، ص ٧٢ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ ٦ ص ٣٠٣ — ٣٠٥ •

(٤٣) عن دور الناصر داود صاحب الكرك انظر : يوسف درويش غوانمه : امارة الكرك الأيوبية ص ٢٤٨ — ٢٦٣ .

على حكم دمشق ، بل ايضا الوصول الى حكم مصر(٤٤) • وكانت النتيجة الطبيعية لذلك هو اشتعال نار الفتنة بالدولة الأيوبية حوالى سبع سنوات الى أن تولى الملك الصالح نجم الدين ايوب أمور السلطنة الأيوبية بمصر والشام عام ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م (٤٥) •

وهكذا شغل هذا الصراع ابناء البيت الأيوبى عن مهمتهم التى اضطلعوا بها وهى محاربة الصليبيين والجهاد فى سبيل تحرير الأراضى الاسلامية ، خاصة وأن البابوية كانت تدعو فى ذلك الوقت للقيام بحملة صليبية جديدة ضد مصر ، وهى التى سميت فيما بعد بالحملة الصليبية السابعة(٤٦) •

---

(٤٤) عن هذه المؤامرات انظر : حامد زيان : العلماء بين الحرب والسياسة ، ص ٢٤ — ٢٨ •

(٤٥) ابن العميد : اخبار الأيوبيين ، ص ١٣٧ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٠٩ ، ابو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٤٦) عن هذه الحملة انظر : محمد مصطفى زياده : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، جوزيف نسيم : حملة لويس .

(د) الخوارزميه والأيوبيون

ومما زاد من حدة التوتر ببلاد الشام فى تلك الفترة ، هو اتجاه الدولة الخوارزميه[٤٧] ناحية املاك الدولة الأيوبية ، ذلك أنه حدث بعد أن حطم المغول بقيادة جنكيز خان الدولة الخوارزميه عام ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، أن استطاع جلال الدين منكبرتى اقامة الدولة الخوارزميه مرة ثانية ، واتخذ من أصفهان عاصمة له[٤٨] . ثم أخذ فى توسيع ممتلكاته على حساب املاك الخلافة العباسية والدولة الأيوبية كما جاء تحالف المعظم عيسى مع جلال الدين — كما سبق أن ذكرنا — فرصة للأخير كى يمد نفوذه الى الشام ، مما زاد من حدة التوتر والصراع ببلاد الشام[٤٩] . بالاضافة الى ذلك طمع جلال الدين فى الاستيلاء على املاك الأشرف موسى خاصة الأقاليم الشرقية ، مما كان له اثر سيء فى زيادة الفوضى والاضطراب فى انحاء الدولة الأيوبيه[٥٠] .

---

(٤٧) يعود تاسيس الدولة الخوارزميه الى قطب الدين محمد الذى خلف اباه أنوشتكين فى حكم اقليم خوارزم عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م ، نيابة عن السلاجقه . ونتيجة لضعف السلاجقه وانقسامهم فى تلك المرحلة استطاع علاء الدين اتسز بن محمد بن انوشتكين اعلان استقلاله باقليم خوارزم عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وحصل من الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله (٥٣٢ — ٥٥٥ هـ / ١١٣٧ — ١١٦٠ م) على شبه تفويض بحكم خوارزم . ثم جاءت الظروف التى المت بالدولة السلجوقية وانهيارها ، لتتيح الفرصة امام هؤلاء الخوارزميه للعمل على توسيع رقعة دولتهم .

انظر : البنداري : تاريخ دولة آل سجلوق ص ٢٥٥ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٨٥ — ٩٩ .

(٤٨) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٠٣ .

(٤٩) المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢٥٥ .

(٥٠) ابو شامه : ذيل الروضتين ص ١٤٧ — ١٤٨ ، الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ٣١١ ، نافع العبود : الدولة الخوارزميه ، ص ١٥١ — ١٥٥

وهكذا بدأ يدخل الخوارزميه كعنصر جديد فى الصراع الدائر ببلاد الشام ، ولا شك فى أن الأيوبيين خشوا كثيرا من الخوارزميه ، لذلك فضلوا عقد الاتفاقيات مع الصليبيين ودفع الأموال لهم حتى يتفرغوا للقضاء على اطماع الخوارزميه • واستمر الحال على ذلك حتى مقتل جلال الدين منكبرتى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م وتفكك الدولة الخوارزميه(٥١) •

وبعد مقتل جلال الدين منكبرتى تشتت جنوده واتباعه ، ولم يعد فى مقدورهم العودة الى خوارزم وخراسان بعد أن استولى المغول عليها ، لذلك هاموا على وجوههم فى بلدان الشرق الأدنى ، وأخذوا يعملون كجند مرتزقه فى خدمة من يطلب منهم ذلك(٥٢) •

وقد اعتمد الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧هـ / ١٢٣٩ — ١٢٤٩ م) على الخوارزميه فى معاركه ، حيث كان أكثر جيشه يتكون منهم(٥٣) • غير ان الصالح لم يلبث ان خشى منهم خاصة بعد اتفاقهم مع عدوه الملك الناصر داود ، ويذكر ابن العميد(٥٤) ، ان الناصر داود « تزوج منهم واختلط بهم وقويت شوكته بانتمائهم اليه » • لذلك شرع الصالح ايوب فى محاربتهم للقضاء عليهم ، وقد امتلأت أحداث عامى ٦٤٤ ، ٦٤٥ هـ (١٢٤٦ ، ١٢٤٧) بالمعارك الطاحنه التى اشعلها الملك الصالح ضد الخوارزميه والناصر داود(٥٥) جميعاً • وأخيرا انتهى هذا الصراع بعد أن استطاع الصالح أيوب استمالة الخوارزميه الى جانبه ، بفضل دبلوماسية الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ(٥٦) •

---

(٥١) ابو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٢٧٣ ، نافع العبود : الدولة الخوارزميه ص ١٦٤ — ١٦٧ •

(٥٢) المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢٥٥ ، الصياد : المغول فى التاريخ ص ١٧١ — ١٧٣ •

(٥٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ ق ١ ص ٢٥٦ •

(٥٤) اخبار الأيوبيين ، ص ١٥٧ •

(٥٥) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٧٦١ ، ابن ايبك : الدر المطلوب ص ٣٥٩ •

(٥٦) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٥٧ ، المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ١٢ — ٣٣ •

(هـ) الصراع بين الأيوبيين وسلاجقة الروم

انقسمت دولة السلاجقه الى عدة اقسام ، ففضلا عن دولة السلاجقه العظام بفارس ، كان هناك سلاجقه العراق وسلاجقه الشام وسلاجقه كرمان وكذلك سلاجقه الروم بآسيا الصغرى • واذا كانت دولة السلاجقه العظام بفارس قد انتهت عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م ، وكان آخر حكامهم السلطان سنجر معز الدين ابو الحارث أحمد بن ملكشاه ، وكذلك انتهت دولة سلاجقه العراق عام ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م وكان آخر حكامهم السلطان طغرل الثانى بن أرسلان شاه ، وكذلك انتهت دولة سلاجقه الشام عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م وكان آخر حكامهم الملك سلطان شاه ابن رضوان بحلب ، وكذلك انتهت دولة سلاجقه كرمان عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م وكان آخر حكامهم محمد الثانى ، فان دولة سلاجقه الروم بآسيا الصغرى ظلت باقيه حتى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م أى انها عاصرت الدولة الأيوبية وبداية دولة المماليك(٥٧) •

وخلال تلك الفترة الطويلة التى عاشتها دولة سلاجقه الروم (٤٧٠ — ٧٠٠ هـ / ١٠٧٧ — ١٣٠٠ م) ظهر بينها وبين كثير من الدول التى عاصرتها صراع ومنافسة ، غير أن صراعهم مع الأيوبيين خاصة عندما أخذ الأيوبيون يمدون نفوذهم الى شمال الشام واعالى الجزيرة ، اشتد كثيرا ، مما يجعلنا نتحدث عنه •

وقد اتخذ هذا الصراع أشكالا مختلفة وان كان فى نهاية الأمر أدى الى تفتت وانقسام القوى الاسلامية وساعد على ان يحقق الصليبيون اهدافهم ، مع ملاحظة ان سلاجقه الروم لم يترددوا خلال هذا الصراع من التحالف مع الصليبيين أنفسهم ضد الأيوبيين •

---

(٥٧) انظر : زامباور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة ، احمد كمال الدين حلمى : السلاجقه فى التاريخ والحضارة ، ص ٢١ — ٠٧.

ومما يوضح ذلك ما حدث زمن صلاح الدين الأيوبى ، عندما خشى سلطان سلاجقه الروم عز الدين قليج أرسلان (الثانى) ابن مسعود (٥٥١ ـ ٥٨٨ هـ / ١١٥٦ ـ ١١٨٨ م) من اتساع املاك ونفوذ صلاح الدين الأيوبى ، وخشى من أن يفرض صلاح الدين سلطانه ونفوذه عليه ، لذلك رحب عز الدين بالتحالف مع أعداء صلاح الدين من الصليبيين(٥٨) .

ففى عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م عزم فردريك بربروسا امبراطور المانيا (١١٥٢ ـ ١١٠٠ م) فى الاشتراك مع كل من ملكى انجلترا وفرنسا فى الحملة الصليبية الثالثة التى دعت اليها البابوية لاسترجاع بيت المقدس من يد صلاح الدين(٥٩) . وقاد فردريك جيشه الذى وصفه المؤرخون بأنه كان ذا تنظيم عسكرى دقيق وعدد كبير(٦٠) ، متخذاً الطريق البرى بدلا من الطريق البحرى الذى اعتزم اتخاذه ملكى انجلترا وفرنسا(٦١) .

وقد أرسل فردريك بربروسا الى حكام البلدان التى سيمر بها جيشه يخبرهم بذلك ويطلب منهم الموافقة على تأمين جيشه وامداده بالمؤن والمعدات اللازمة ، وكان من بين الذين أرسل اليهم سلطان سلاجقه الروم عز الدين قلج ارسلان ، الذى استجاب ووافق على الوقوف الى جانب فردريك بربروسا ضد صلاح الدين وتعهد له بتسهيل عبور الجيش الالمانى وامداده بما يلزم من مؤن وعتاد(٦٢) .

---

(٥٨) Stevenson : the Crusaders in the East, p 264, ostrogorsky Hist of the Byzantine state, p 342.

(٥٩) Tout : The Empire and the papacy , p 299, Finlay : Hist of the Greek , Vol3 , p 233

(٦٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ص ٤٠٣ ، ابو شامه : الروضتين ، جـ ٢ ص ١٥٥ .

(٦١) Ostrogorsky : Hist of the Byzantine state, p 360

(٦٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، Finlay : Hist of the Greek, vol3 , p 236.

وعلى هذا النحو نجد سلطان سلاجقه الروم وقد اعمى الحقـد بصيرته ، يقف الى جوار فردريك بربروسا ضلا صلاح الدين فى مرحلة حاسمة ، وقف فيها الغرب الأوروبى جميعه ضد صلاح الدين الذى أصبح فى ذلك الحين هو حامى حمى الاسلام ، وكان وقوفه الى جانب الصليبيين نابعا من حقده وتخوفه من صلاح الدين ، وحفـاظاً على مصلحته الخاصة والاحتفاظ بملكه بصرف النظر عن مصالح المسلمين كافة .

واذا كانت حملة فردريك بربروسا قد انتهت بالفشل خاصة بعد غرقه فى نهر الســـالف عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م [٦٣] ، فانهـا كشفت عن مقف سلاجقة الروم من صلاح الدين الأيوبى .

وفى زمن السلطان كيقباد الأول (٦١٦ ـ ٦٣٤ هـ / ١٢١٩ ـ ١٢٣٧ م) تجدد الصراع مرة أخرى بين سلاجقه الروم والأيوبيين . خاصة بعد مقتل جلال الدين منكبرتى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م عندما طمع كيقباد فى الاستيلاء على خلاط والرها وحران وهى من املاك الأيوبيين [٦٤] .

* * *

غير أن الملك الكامل محمد رفض الاستسلام ليكتقباد ، ودعى ملوك البيت الأيوبى للتكاتف والوقوف امام اطماع كيقباد ومحاربته ، ولكن ملوك بنى أيوب الذين امتلأ قلوبهم بالحقد والتنافس خشوا من ازدياد سطوة ونفوذ الكامل اذا استطاع تصفية مملكة سلاجقه الروم ، لذلك راسلوا كيقباد فى الخفاء ، واتفقوا معه على الوقوف بجانبه ، وعندما علم

---

(٦٣) عن تفاصـيل حملة الامبراطور فردريك بربروسـا انظـر حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة .

(٦٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ص ١٤٧ .

بذلك الملك الكامل انسحب على الفور تاركاً حران والرها تسقط فى يد كيقباد الأول عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م (٦٥) .

وهكذا كان للصراع بين ابناء البيت الأيوبى من جهة ، وبينهم وبين سلاجقه الروم من جهة أخرى اثار كبيرة فى اشعال نار الفتنة والحرب جميعاً .

* * *

(٦٥) سعيد عاشور : الأيوبيين والمماليك ، ص ١١٧ — ١١٨ .

« الخاتمـــــة »

وصفوة القول أن منطقة الشرق الأدنى عصر الحروب الصــليبية شهدت صراعاً وتطاحناً سياسيا وعسكريا بين مختلف القوى الاسلامية التى تولت حكمها • وقد ساعد هذا الصراع على تفكك وانقسام عرى وحدة المسلمين ، الأمر الذى جنى من ورائه الصليبيون مكاسب كثيرة كان من أهمها نجاحهم فى الاستيلاء على بيت المقدس وغيره من الممتلكات الاســـــلامية •

ومن الملاحظ أنه كان من مصلحة الصليبيين استمرار ذلك الصراع ، لذلك عملوا على اشعال ناره باستمرار ، واثارة الخلاف بين الحكـــام المســـلمين •

أما هؤلاء الحكام الذين انغمسوا فى الصراع مع بعضهم البعض ، فقد سيطرت مصالحهم الخاصة على تحركاتهم ، بصرف النظر عن المصلحة العامة للمسلمين • ففى الوقت الذى كان يتحتم فيه على هؤلاء الحكـــام أن ينبذوا خلافاتهم ويتناسوا ما بينهم من أحقاد ، ويقفوا صفاً واحـــداً امام اعدائهم من الصليبيين الطامعين فى الأراضى الاسلامية ، نجدهم على العكس من ذلك يمدون ايديهم للصليبيين متحالفين معهم ، طامعين فى الحصول على مساندتهم للوصول الى أهدافهم وأطماعهم الشخصية ، وهو ما كان له أسوأ الأثر فى تاريخ الشرق الأدنى فى تلك الفترة ، وأدى الى ترسيخ اقدام الصليبيين ببلاد الشام •

وتقع مسئولية ما وصل اليه حال الدولة الاسلامية فى ذلك الوقت من فوضى واضطراب على عاتق الحكام المسلمين أنفسهم • فالسلاجقه الذين دخلوا الدولة العباسية كحماة لها ولممتلكاتها ، ما لبثوا أن وقعوا فى خلاف منذ البداية مع الخلفاء العباسيين أنفسهم ، وازداد الصراع فيما بينهم الأمر الذى أدى الى تفكك الدولة الاسلامية • ثم جاء انقسام

دولة السلاجقة الى عدة ممالك ودول يسودها التحاسد والأحقاد ، ليزيد من ضعف الدولة الاسلامية •

وزاد من شر البليه ذلك الصراع الذى نشب بين الفاطميين والخلافة العباسية ، فقد ناصب الفاطميون منذ البداية الدولة العباسية العداء • وعملوا على تقويض الدعوة العباسية واحلال الدعوة الفاطمية محلها ، وانقسمت الدولة الاسلامية ازاء ذلك ما بين سنيين وشيعه مما زاد من حدة التوتر والاضطراب بها •

أما الخلافة العباسية ، فتتحمل هى الأخرى مسئولية كبيرة فى ذلك الصراع ، ففى الوقت الذى كان يتحتم فيه على الخلفاء لم شمل المسلمين وتوحيد صفهم نجد الدولة العباسية تمر فى تلك الفترة بمرحلة من الضعف لا تساعدها حتى على حماية نفسها ، وحتى فى الفترات التى شهدت فيها الدولة العباسية الانتعاش وتولى ادارتها خلفاء أقوياء من امثال المسترشد ، نجد هؤلاء الخلفاء يوجهون جهودهم نحو التخلص من السلاجقة مما جعلهم يدخلون فى صراع مرير معهم لم تكسب من رائه الدولة الاسلامية شىء سوى زيادة التفكك والضعف الانقسام •

أما بقية الحكام من الأتابكه وابناء البيت الأيوبى فيشهد التاريخ أن الحقد والتنافس قد اعمى بصيرة البعض منهم عن الطريق الصحيح ، وانقادوا وراء اطماعهم الشخصية متحالفين مع الصليبيين ضد المصلحة العامة للمسلمين • وسيظل يذكر لهم التاريخ هذا العمل وتلك الخيانة أبد الدهر •

وثمة ملاحظة أخيرة ، وهى أن داء الصراع بين القوى الاسلامية لم يكن من نصيب منطقة الشرق الأدنى بمفردها ، وانما انتشر — للأسف الشديد — فى كثير من أنحاء الدولة الاسلامية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد أن هذا الصراع استشرى فى صقلية بين حكامها

المسلمين ، وانتهى نهـاية مؤسفة باستنجاد أحـدهم بالنورمان ، الذين سـارعوا واستولوا على الجزيرة من يد المسلمين .

وهكذا كان للصراع بين قادة المسلمين وحكامهم عواقب وخيمـة على مجرى حوادث التاريخ .

* * *

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المخطوطات

ـ ابن أبى الدم الحموى : (ت ٦٤٢ هـ) .
ابو الحسن ابراهيم بن عبد الله
التاريخ المظفرى		مكتبة البلدية بالاسكندرية .

ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ) .
كمال الدين بن أبى جراده .
بغية الطلب فى تاريخ حلب .	دار الكتب رقم ٦١٥ تاريخ .

ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ) .
محمد بن عبد الرحيم .
تاريخ الدول والملوك .	دار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ .

ـ الحمـــوى :
ابو الفضل محمد على .
تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان .
المعروف باسم التاريخ المنصورى .

ـ الحنبلى :
ابراهيم بن أحمد .
شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب . جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١

ـ سبط بن العجمى : (ت ٨٨٤ هـ) .
موفق الدين ابو ذر أحمد .
كنوز الذهب فى تاريخ حلب .	دار الكتب رقم ٨٣٧ تيمور .

ـ العينى : (ت ٨٥٥ هـ) .
بدر الدين محمود .
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان . دار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

ـ النويرى : (ت ٧٣٣ هـ) .

شهاب الدين أحمد .
نهاية الأرب فى فنون الأدب . دار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة .

* * *

ثانياً : المصادر العربية المطبوعة

ـ ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ) .

ابو الحسن على .
التاريخ الباهر . القاهرة ١٩٦٣ .
الكامل فى التاريخ المطبعة الأزهرية ، طبعة بيروت .

ـ ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ) .

شمس ادين احمد بن محمد .
وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان القاهرة ١٣١٠ هـ .

ـ ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ) .

عبد الرحمن بن محمد .
العبر وديوان المبتدأ والخبر . المطبعة الأزهرية بالقاهرة .

ـ ابن الراهب :

ابو شاكر بطرس بن ابى الكرم بن المهذب .
تاريخ ابن الراهب . بيروت ١٩٠٣ .

ـ ابن شداد : (ت ٦٣٢ هـ) .

بهاء الدين ابو المحاسن يوسف .
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه .
أو سيرة صلاح الدين . القاهرة ١٩٦٤ .

ـ ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ) .

كمال الدين بن ابى جراده .
زيدة الحلب فى تاريخ حلب . دمشق ١٩٥٤ — ١٩٥٨ .

ـ ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ) .

الشيخ جريس بن العميد .
أخبار الأيوبيين .
Bulletin d' etudes Orientals Tom XV, 1955-57 (Damas -1958).

ـ ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ) .

محمد بن عبد الرحيم .
تاريخ الدول والملوك . العراق ١٩٧٨ .

ـ ابن القلانسى : (ت ٥٥٥ هـ) .

ابو يعلى حمزه .
ذيل تاريخ دمشق . بيروت ١٩٠٨ .

ـ ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ) .

عمـــاد الدين الدمشقى ،
البداية والنهاية . القاهرة ١٩٤٨ .

ـ ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ) .

محمد بن على بن يوسف .
أخبار مصر . القاهرة ١٩١٩ .
Rec . Des. Hist. on, TI.

ـ ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ) .

جمال الدين محمد بن سالم .
مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . القاهرة ١٩٥٣ — ٦٠ ، ٧٢

ـ ابن الوردى : (ت ٧٤٩ هـ) .

عمر بن الوردى .
تاريخ ابن الوردى المعروف بتتمة المختصر . القاهرة ١٢٨٥ هـ .

ــ ابن ايبك : (ت ٧٦٩ هـ) .

ابو بكر بن عبد الله .
الدره المضيه فى اخبار الدولة الفاطمية . القاهرة ١٩٦١ .

ــ ابو شامه : (ت ٦٦٥ هـ) .

شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن .
الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية .
القاهرة ١٢٨٧ هـ ، ١٩٦٢ م .

ــ ابو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ) .
عماد الدين اسماعيل .
المختصر فى اخبار البشر . القاهرة ١٣٢٥ هـ .

ــ ابو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ) .
يوسف بن تغرى بردى .
النجوم الزاهره فى محاسن ملوك مصر والقاهرة .
طبعة دار الكتب .

ــ اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) .
ابو المظفر بن مرشد الشيزرى .
كتاب الاعتبار . برنستون ١٩٣٠ .

ــ البندارى : (ت ٥٩٧ هـ)
الفتح بن على .
تاريخ دولة آل سجلوق . مصر ١٩٠٠ .

ــ الزبيدى : (ت ١٢٠٥ هـ) .
المرتضى .
ترويح القلوب فى ذكر الملوك من بنى ايوب ، دمشق ١٩٧١ .

ــ الخطيب البغدادى : (ت ٤٦٣ هـ) .
الحافظ ابو بكر .
تاريخ بغداد . القاهرة ١٩٣١ .

ــ سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤ هـ) .
يوسف قزاوغلى .
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان . حيدر آباد ١٨٥١ ،
Rec. Des Hist or. T3.

ــ السيوطى : (ت ٩١١ هـ) .

عبد الرحمن بن ابى بكر جلال الدين .
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ .
تاريخ الخلفا . القاهرة ١٩٧٥ .

ــ الشهر ستانى : (ت ٥٤٨ هـ) .

ابو الفتح محمد بن عبد الكريم .
الملل والنحل . القاهرة ١٩٦٨ .

ــ العظيمى : (ت ٥٥٦ هـ) .

محمد بن على .
تاريخ العظيمى . Jornal Asiatique , Tom CCXXX, 1938.

ــ العماد الكاتب الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ) .

ابو عبد الله محمد بن صفى الدين .
سنا البرق الشامى . القاهرة ١٩٧٩ .

ــ الغزالى : (ت ٥٠٥ هـ) .

الامام ابو حامد محمد بن محمد بن احمد .
فضائح الباطنيه . القاهرة ١٩٦٤ .

ــ القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ) .

ابو العباس أحمد .
صبح الأعشى فى صناعة الانشا . طبعة دار الكتب العربية .

ــ المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ) .

تقى الدين احمد بن على .
اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الخلفاء . القاهرة ١٩٤٨ .
السلوك لمعرفة دول الملوك . القاهرة ١٩٥٦ .

ــ المؤيد فى الدين : (ت ٤٧٠ هـ) .

داعى الدعاة هبة الله بن موسى الشيرازى .
السيرة المؤيدية . القاهرة ١٩٤٩ .

ـ ناصر بن الحسين : (ت ٦٢٢ هـ) .
ابو الحسن على .
أخبار الدولة السلجوقية . لاهور ١٩٣٣ .

ـ النعيمى : (ت ٩٢٧ هـ) .
عبد القادر بن محمد .
الدارس فى تاريخ المدارس . دمشق ١٩٤٨ .

ـ ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦ هـ) .
شهاب الدين ابو عبد الله .
معجم البلدان ليبزج ١٨٦٧ م .

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة

ـ أحمد كمال الدين حلمى :

السلاجقه فى التاريخ والحضارة . الكويت ١٩٧٥ .

ـ برنارد لويس :

اصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية بيروت ١٩٨٠ .
الدعوة الاسماعيلية الجديدة (الحشيشيه) . بيروت ١٩٧١ .

ـ بيشوف :

تحف الانباء فى تاريخ حلب الشهباء . بيروت ١٨٨٥ .

ـ جوزيف نسيم :
حملة لويس .

ـ حافظ أحمد حمدى :

الدولة الخوارزمية والمغول القاهرة ١٩٤٩ .

ـ حامد زيان غانم :

العلماء بين الحرب والسياسة . القاهرة ١٩٧٨ .
ـ الامبراطور فردريك بربروسا القاهرة ١٩٧٧ .

— حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى القاهرة ١٩٨٢ .
— تاريخ الدولة الفاطمية القاهرة ١٩٦٤ .

— حسن احمد محمود ، ابراهيم الشريف :
العالم الاسلامى فى العصر العباسى . القاهرة ١٩٨٠ .

— حسن حبشى :
نور الدين والصليبيون . القاهرة ١٩٤٨ .

— حسين امين :
تاريخ العراق فى العصر السجلوقى . بغداد ١٩٦٥ .

— رشيد الجميلى :
دولة الأتابكه فى الموصل . بيروت ١٩٧٥ .

— زامباور :
معجم الانساب والاسرات الحاكمة . القاهرة ١٩٥٢ .

— سعد زغلول عبد الحميد :
تاريخ المغرب العربى . الاسكندرية ١٩٧٩ .

— سعيد عاشور :
الأيوبيون والمماليك . القاهرة ١٩٧٦ .
— الحركة الصليبية . القاهرة ١٩٧٦ .

— سهيل زكار :
مدخل الى تاريخ الحروب الصليبيه . دمشق ١٩٧٧ .

— عبد النعيم حسنين :
سلاجقه ايران والعراق . القاهرة ١٩٥٩ .

— فاروق عمر :
الخلافة العباسية فى عصورها المتأخرة . الامارات العربية ١٩٨٣

ـ فؤاد عبد المعطى الصياد :

المغول فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٠ .

ـ لويس ارشيبالد :

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط .
القاهرة ١٩٦٠ .

ـ محمد جمال الدين سرور :

النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب . القاهرة ١٩٦٥ .
النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق . القاهرة ١٩٦٤ .

ـ محمد سليمان الجندى :

تاريخ معرة النعمان . دمشق ١٩٦٣ .

ـ محمد كرد على :

خطط الشام . دمشق ١٩٢٥ .

ـ محمد محمد موسى الشيخ :

الامارات العربية فى بلاد الشام . الاسكندرية ١٩٨٠ .

ـ محمد مصطفى زيادة :

حملة لويس التاسع على مصر . القاهرة ١٩٦١ .

ـ نافع توفيق العبود :

الدولة الخوارزميه . بغداد ١٩٧٨ .

ـ يوسف درويش غوانمه :

امارة الكرك الصليبية . الاردن ١٩٨٠ .
الترجمة العربية للدكتور حسن حبشى . القاهرة ١٩٦٨ .

* * *

رابعاً : المصادر والمراجع الأجنبية

Finlay : (G)
History of the Greek London , 1856 .

— **Faruk Summer :**
OGuzlar Ankra university 1967 .

— **Joinville : (J)**
Histoire de Saint Lewis

الترجمة العربية للدكتور حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨ .

.. **Marco - Polo :**
Travales . London , 1963.

.. **Runciman : (S)**
History of the Crusades Cambridge , 1954.

.. **Setton : (k)**
A history of the Crusades. London 1964 .

.. **Smail : (R.C.)**
Crusading warfare. Cambridge , 1967 .

— **Stevenson b (w . B.)**
The Crausaders in the East Beiut, 1968 .

.. **Tout : (T. F.)**
The Empire and the Papicy London, 1899.

.. **William of Tyre :**
The history of Deeds beyond the Sea Columbia , 1943

فهـرس المحتويات

الفصـــل الخامس :

الفصل السادس :

* * *

رقم الايداع ٤٥٢٦/٨٣

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلى
الأزهر - ٣ حيضان الموصلى - بجوار جامع الدعاء